الحرمل
AL harmal

السنة الأولى / العدد الثامن / 15 كانون الثاني 2015

الحريـة دائمـاً
Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi | Kültür - Siyasi - 15 günde bir | ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع منظمة بيت الرقة لكل السوريين

العاصفة الثلجية.. تزيد من معاناة السوريين

مخيمات الشـمال السـوري تعلن اضراباً مفتوحاً عن الطعام

الرقة و دير الـزور تحت القصف من جديد

سـوريا سـاحة لتقاطعـات أم لمؤامـرات دوليـة؟

مفتتح الكلام

شارلي إيبدو

ماجد رشيد العويد

اعتـادت الشـعوب أن تـأكل مـما تصنـع ومـما تنتـج، ولكـن في عالمنـا المعـاصر يريـد العـالم أن يـأكل مـما تنتجـه أمريـكا. هـذا القـول صحيح تماماً عندما يتحدث المرء عـن طبيعـة السياسـة الأمريكيـة، وخصوصاً بصـدد الإرهـاب. يتجلى هـذا واضحاً منـذ بداية رسـم معـالم مـا سـمي لاحقـاً بالقاعـدة، فالاتفـاق السـعودي الأمريـكي، عـلى تصنيـع مدافعـين عـن الإسـلام ضـد الاتحـاد السـوفيتي الـذي قـام باحتـلال أفغانسـتان، دخـل حيـز التنفيـذ بإذاقـة السـوفييت آنـذاك ويـلات هزيمـة مـرّة، وبالفعـل تـمّ لهـما هـذا فالبيئـة الحاضنـة للمقاتلـين في أفغانسـتان في السـعودية ومـصر وغيرهـما كانـت ملائمـة تماماً لإنتاج هـذا النوع مـن المقاتلـين حيـث الانعـدام التـام للحريـات في السـعودية، يرافقـه فكـر وقـف بالإسـلام عنـد حـدود العشـيرة وبنيـة علاقاتها، وفي مـصر حيـث الفقـر يخنـق تلـك البيئـات التـي خـرج منهـا مقاتلـو القاعـدة المصريـين.

ولم تلبـث أن تفجّـرت القاعـدة بعـد هجـمات الحـادي عـشر مـن أيلـول بفعـل الحـرب التـي شـنتها أمريـكا عـلى أفغانسـتان والعـراق، وصارت القاعـدة «قواعـد» ومـن العـراق خـرج تنظيـم جديـد تحـت اسـم تنظيـم دولـة الإسـلام في العـراق، ومـن الشـام وبعـد الثـورة السـورية خـرج تنظيـم جبهـة النـصرة.

سـاعد اسـتبداد الأنظمـة العربيـة عـلى بلـورة هـذه الـروح العنيفـة تحـت عنـوان يتيـم أمريـكي الطابـع «إمـا هـذه الأنظمـة أو خـراب بلادكـم».

لا مجـال ولا متسـع ولـو بحجـم خـرم إبـرة للحريـة في هـذه البـلاد. هـذه البيئـة لـن تصـدّر أناسـاً يؤمنـون بحريـة الـرأي والتعبـير فـما بالـك عندمـا يتعلـق الأمـر بمقدسـات الشـعوب.

ومـا حـدث في فرنسـا الأسـبوع الفائـت وهجـوم أفـراد مـن القاعـدة عـلى جريـدة شـارلي ايبـدو وقتـل اثنـي عـشر مـن طاقمهـا ينـدرج في هـذا الإطـار: كيـف لمن ترعـرع في بيئات الاسـتبداد أن يـدرك طبيعـة الحريـة عـلى إطلاقهـا؟ ربمـا يمكننا أن نضيـف هنـا مـا حـدث في فرنسـا ذاتهـا مـن تمـرد الفرنسـيين مـن أصـول أخـرى عربيـة وغـير عربيـة عـلى الحكومـة الفرنسـية منـذ سـنوات في تأجيـج مشـاعر الكراهيـة بـين الحكومـات ومواطنيهـا فـلا مجـال للفقـر والاسـتبداد أن ينتجـا غـير إنسـان قابـل لتفجـير ذاتـه في جوهـر حضـارة لم تعمـل عـلى اسـتيعابه.

ولعلـه أخـيراً يصـح القـول إن بدايـة طريـق الخـلاص مـن الإرهـاب يبـدأ مـن خـلاص العـالم مـن نظـم القهـر الموجـودة فيـه، والتـي ترعاهـا أمريـكا ابتـداءً، عندهـا وعندهـا فقـط يتجـلى المعنـى السـامي للحريـة ولحريـة الـرأي والتعبـير، وربمـا يكـون في هـذا عـودة ميمونـة للأمريـكان إلى مبادئهـم التـي قامـت عليهـا دولتهـم.

رسائل أبناء معتقل في رأس السنة

نشرت زبيدة خربوطلي زوجة المعتقل الدكتور إسماعيل الحامض المعتقل لدى «تنظيم الدولة الإسلامية» منذ سنة وثلاثة أشهر، رسائل ابنه حازم وبناته، رسائل لا تخلو من الألم لغياب الوالد السند، الوالد الإنسان، الطبيب المعالج الذي لم يدخر جهداً يوماً ما، في معالجة الجرحى من قصف النظام، ومن جرحى المظاهرات قبل تحرير مدينة الرقة.

حازم الابن الأصغر وجه رسالة تختصر كل المعاناة لطفل لا يزال عوده أخضر، الطفل يحلم بوجود والده بجانبه قال فيها: «هل من الطبيعي أن أدخل سنة جديدة بالبكاء؟!»

أما ابنته ريم فقد قالت: «ما ظل شي ومندخل بسنة جديدة وأنت مو معنا، وينك يا بابا بأي زنزانة أنت عم تقضي سنتك لحالك، عجب بتعرف انو رح ندخل بسنة جديدة بس بعرف أنك عم تقضي الأيام لحالك وعم تقضيهن ساعات لحالك وعم تفكر فينا، وينك يا بابا تقلنا كل عام وانتو بخير، وينك والله نحنا مو بخير ، بس كون أنت بخير يا أغلى شي بحياتنا ورجعلنا لأنو غيبتك طالت».

فيما وجهت هبة إسماعيل الحامض رسالتها لوالدها تقول فيها: «سنعلق على شجرة عيد الميلاد هذا العام أمانينا الجميلة بعودتك أبي، سنشعل شموعاً بعدد الدموع التي ذرفناها خلال عام من غيابك وبحجم الآهات التي أطلقناها، ستكون حريتك أجمل هدية يحملها إلينا بابا نويل، كل عام وأنت بخير يا أروع أب على الإطلاق.»

سارة بثت حزنها وهي تعطي والدها مزيداً من الأمل بالحرية: «إن لم تعد تعدهم، أيام اعتقالك ٤٦٥ يوماً، لا تحزن أبي وتوسد جدار الحياة، تحسس مساماته، واستنشق ملء روحك من أمل، لا تيأس فلديك زوجة وأولاد جميعهم بانتظارك حتى شروق الشمس».

ما زالت أسرة الدكتور إسماعيل الحامض تعد أيام الاعتقال يوماً إثر يوم، بانتظار بارقة أمل برجوع الأب، فهل يستمع أو يرى سجانه هذه النداءات؟!

Liberté pour Esmaiel Alhamed
Prisonnier politique en Syrie

دير الزور ما تزال تحت القصف أيضاً

ما تزال قوات النظام تواصل القصف على مدينة دير الزور وريفها في محاولة منها لتدمير المدن والبلدات، وتهجير المزيد من الناس، فخلال الساعات الأخيرة قبل إعداد هذا الخبر قامت قوات النظام بالقصف المدفعي من داخل اللواء ١٣٧ مستهدفة بلدة عياش في الريف الغربي لدير الزور كما ذكر اتحاد تنسيقيات ريف دير الزور على صفحته الإخبارية.

ويذكر بأن النظام يواصل اعتداءاته على دير الزور ريفاً ومدينة بشكل متواصل وقد سجل المرصد السوري لحقوق الإنسان بعض محطات القصف الوحشي على دير الزور: وكانت أبرز الغارات على دير الزور منذ نهاية العام الماضي ٢٠١٥/١/١٠ حيث قامت قوات النظام بغارتين على مناطق في بلدة الخريطة وقرية الجفرة، ولم ترد أنباء عن خسائر بشرية، كما قصفت قوات النظام أماكن في منطقة حويجة صكر، دون أنباء عن إصابات، كما نفذ الطيران الحربي غارة على مناطق في مدينة موحسن، بينما قصف الطيران الحربي مناطق في حي الحويقة، بالتزامن مع اشتباكات بين تنظيم «الدولة الإسلامية» وقوات النظام في حي الصناعة، بينما تعرضت منطقة بالقرب من مدرسة في حي الجبيلة لقصف جوي، ولم ترد معلومات عن خسائر بشرية..

وفي تاريخ ٢٠١٥/١/٥ قصفت قوات النظام مناطق في قرية زغير شامية بالريف الغربي لدير الزور، ولم ترد معلومات عن خسائر بشرية حتى اللحظة، في حين لقي مقاتل من تنظيم «الدولة الإسلامية» من الجنسية السورية مصرعه، جراء اشتباكات مع قوات النظام والمسلحين الموالين لها في محيط مطار دير الزور العسكري.

وبتاريخ ٢٠١٤/١٢/٢٩ قصف الطيران الحربي مناطق في قرية الجفرة القريبة من مطار دير الزور العسكري، بينما قصفت قوات النظام أماكن في منطقة حويجة صكر، كما استشهد رجل وسقط عدد من الجرحى جراء قصف لقوات النظام على مناطق في شارع التكايا بمدينة دير الزور، وأنباء عن شهداء آخرين.

يذكر أن النظام يواصل اعتداءاته على مختلف المدن السورية في محاولة منه لرفع معنويات شبيحته ومؤيديه الذين انهارت آمالهم في التغلب على إرادة الشعب السوري في الحرية.

بان كي مون.. ليس قلقاً هذه المرة ووحدها تركيا تتصدر المشهد الإنساني

أكثر من ثلاثين لاجئاً قضوا نتيجة العاصفة زينا

عروة المهاوش

مأساة السوريين في مخيمات اللجوء لم ينسَ العالم صور قسوتها، العام الفائت، وصور الأطفال الذين ماتوا صقيعاً لم تزل في ذاكرة الإنسانية، وستبقى طويلاً، أكثر من ثلاثين سورياً ماتوا صقيعاً، في مخيمات اللجوء في دول الجوار وفي الداخل السوري، لم يحتاجوا فيها لقبور تضم رفاتهم، فالثلج الذي كان سبباً بموتهم تكفل بحفظ جثامينهم أيضاً.

العاصفة الثلجية تنبأ بها العالم قبل قدومها، اتخذت كل الدول الإجراءات الوقائية التي من شأنها حماية مواطنيها، شاشات التلفزة بثت على مدى أيام طرق الحماية، واستنفرت قوات الطوارئ بالإضافة لوحدات الإسعاف والدفاع المدني، وحده الشعب السوري كان بمواجهة العاصفة منفرداً، في دول اللجوء، في مخيمات الموت برداً، الائتلاف السوري منشغل جداً في انتخاباته، كان بعيداً عن مشهد الموت، بان كي مون لم يقلق أيضاً، ولم تحاول الدول الكبرى تقديم مساعدات تسبق العاصفة، والجامعة العربية لم يسمع لها صوت، أو نداء استغاثة. نداءات أطلقتها الأمم المتحدة لمساعدة اللاجئين السوريين في مخيمات اللجوء لم تسهم بتدفئة طفل أو شيخ، فيما ذكرت هيئة الأمم المتحدة أنها تقوم على مساعدة ثلاثة ملايين لاجئ سوري، لغة الأرقام مخيفة، لو أحصيناها بحسب التصريحات الرسمية لوجدنا أن الشعب السوري أصبح تعداده يفوق المائة مليون لاجئ.

وحدها تركيا استبقت الحدث، فقد قامت هيئة الإغاثة التركية وبالتعاون مع مؤسسة قطرية إغاثية بإنشاء مخيم في منطقة «سجو» التابعة لمدينة إعزاز على الحدود السورية التركية، مؤلفاً من ألف مسكن جاهز، يستوعب نحو عشرة آلاف لاجئ، تتوفر فيه كافة الخدمات التي تساعدهم على الحياة، دون ضجيج إعلامي ودون متاجرة بالدم السوري، وفي تصريح لوكالة الأناضول أدلى به منسق أنشطة هيئة الإغاثة التركية (İHH) في ولاية كلس جنوبي تركيا «أرهان يملك»، أن العمل في مجمع المساكن الجاهزة (الكرفانات) التي يتم إنشاؤها من قبل هيئة الإغاثة لإيواء النازحين السوريين، في قرية «سجو» التابعة لمنطقة «اعزاز» في ريف حلب، سينتهي قريباً، واصفاً المخيم بأنه الأكبر داخل الأراضي السورية، موضحاً أن من يقف وراء هذا الدعم هو منظمة الإغاثة الإسلامية، ومجموعة من المواطنين الأتراك. تقف تركيا مع الإنسان، ومخيم أطمة مثال طيب على ذلك فعندما اقتلعت العاصفة الثلجية بعض الخيام المهترئة، سارعت الحكومة التركية للمساعدة فدخلت عمق الأراضي السورية، ونقلت المخيم بالكامل إلى الأراضي التركية، متحدية بذلك كل الظروف الدولية، ولتثبت للعالم الغربي والعربي أنها خير من يقف مع الإنسان.

في عملية وصفت أنها لنقل الأسر المعرضة للخطر، قامت السلطات التركية في مدينة أنقرة بمنطقة الحاج بيرم الفقيرة بإزالة الخيام وهدمها، وترحيل من فيها إلى مخيم أقيم خصيصاً في مدينة غازي عينتاب بجنوب شرق تركيا، وبحسب تصريحات إدارة الكوارث يكون عدد اللاجئين في تركيا ١,٧ مليون لاجئ سوري، منهم ٣٣٠ ألفاً في المخيمات، يتمتعون بإمكانية دخول المدارس والذهاب إلى المتاجر، والعناية الصحية.

عملية الإخلاء هذه قامت بها عناصر مكافحة الشغب لم تخلُ من القسوة بحق اللاجئين السوريين، فقد ذكر الحاج عبد الله «٧٠» عاماً، أنه فقد عائلته كونه لم يكن في المخيم المذكور ساعة الإخلاء، وهو لا يعلم إلى أين تم ترحيل زوجته وأطفاله، وعبر عن غضبه من الطريقة التي تم فيها الترحيل، فيما كان هناك ارتياح كبير من سكان المنطقة من الإخوة الأتراك على عملية الإخلاء هذه.

لا يختلف الوضع المأساوي للاجئ السوري بمخيمات الدول العربية عن بعضه، خيم مهترئة، وخدمات لا تصل إلا بعد فوات الأوان وبعد البهرجة الإعلامية والتسول على حساب الدم السوري، فيما يقف الائتلاف والحكومة السورية المؤقتة موقف المتفرج، وإصدار بعض البيانات بين الفينة والأخرى، كنوع من التضامن الخجل مع الموت السوري.

مخيمات الشمال السوري تضرب عن الطعام

سكان المخيمات يطالبون بالحد الأدنى للحياة الإنسانية

العاصفة التي ضربت منطقة شرق المتوسط مؤخراً، كانت نتائجها كارثية على السوريين بنحو خاص، إن كان في مناطق لجوئهم القسري أو في مناطق الداخل السوري، وتحديداً في المناطق التي تشهد اشتباكات مسلحة بين قوات النظام وقوات المعارضة، خصوصاً في مناطق الغوطة التي تعاني من حصارٍ خانقٍ منذ أكثر من عامين، والمناطق الحدودية التي توزعت فيها مخيمات للنازحين السوريين، الذين يعيشون فيها في ظل ظروف إنسانية مأساوية.

العاصفة زينا أو هدى وصفت بالأعنف، ولم تشهد مثلها المنطقة منذ أعوام عدة، وأوقعت أكثر من /٣٠/ قتيلاً من السوريين في مخيمات اللجوء اللبنانية والأردنية، وفي محافظتي دمشق وحلب معظمهم من الأطفال والنساء، ماتوا من البرد والجوع. تداعيات العاصفة وآثارها السلبية امتدت لتطال خيام اللاجئين في المناطق الحدودية السورية التركية، حيث اقتلعت الرياح العاتية الخيام، وأغرقت المخيمات بالثلوج والأمطار، في ظل عجز المنظمات الإنسانية عن إيصال المساعدات الإغاثية للإخوة اللاجئين، وتراجع المجتمع الدولي عن أداء واجبه لاستيعاب مشكلة اللاجئين التي بدأت تتوسع نتائجها الكارثية، في هذه الظروف القاسية والمحنة الصعبة التي يعيشها أهلنا هناك، أطلق نزلاء مخيم الأورينت الواقع في «أطمة» في المنطقة الحدودية السورية التركية نداءات إنسانية، لكنها بصرخة مدوية عبر إضراب شامل لسكانه عن الطعام، ما لبث أن تجاوبت معهم كل مخيمات اللاجئين في المناطق الحدودية، ليتجاوز عدد المضربين عن الطعام إلى أكثر من /١٥٠/ ألف شخص، فيما تجاوب مع الإضراب الشامل لمخيمات اللجوء، الرابطة السورية لحقوق اللاجئين، وممثلون عن الحراك الشعبي في محافظات الرقة ودير الزور والحسكة.

وحول وقائع الإضراب، يقول الناشط بسام أبو محمد ـ مدير مخيم الأورينت للنازحين: أصدرنا أولاً بياناً نعلن فيه إضرابنا الشامل عن الطعام، وقد جاء فيه: «نحن النازحون نزلاء مخيم الأورينت على الحدود السورية التركية، نعلن إضراباً مفتوحاً عن الطعام رجالاً ونساءً وأطفالاً اعتباراً من صباح يوم الاثنين ٢٠١٥/١/١٢ حتى يحضر إلينا رئيس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، ورئيس الحكومة السورية المؤقتة أو من ينوب عنهما، ورئيسة هيئة الدعم والتنسيق السيدة سهير الأتاسي، ومدير الرابطة السورية لحقوق اللاجئين وذلك للوقوف على الحالة المأساوية للمخيم بعد العاصفة التي مرت بنا، ووضع الحلول الناجعة، وتأمين الحد الأدنى من مستلزمات البقاء على قيد الحياة، ونحمل الائتلاف والحكومة أي ضرر ناتج عن الإضراب وبأي فرد يشارك فيه. كما ندعو كافة الإخوة النازحين واللاجئين وكل أحرار سوريا والعالم بالتضامن معنا في هذا الإضراب، فقد دمر النظام بيوتنا لأننا طالبنا بحريتنا وكرامتنا، ونحن على استعداد للموت جوعاً كي يحيا أطفالنا.

ويضيف أبو محمد، قائلاً: وجهنا دعوة عبر وسائل التواصل الاجتماعي لكافة وسائل الإعلام للحضور إلى مخيمات «أطمة» لتغطية أحداث الإضراب العام في كامل مخيمات الشمال السوري.

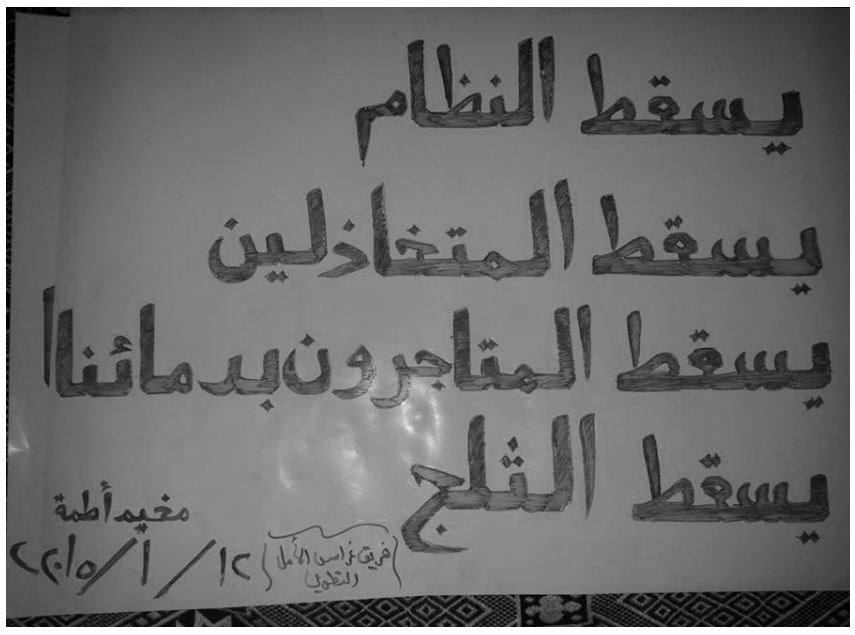

وحول الأسباب التي دعت للإضراب يقول أبو محمد: اقتلعت العاصفة التي ضربت المخيم ما يقارب ٣٠٠ خيمة، وتحول سكانها إلى العراء، وقمنا بمناشدة جميع المنظمات الإنسانية والجمعيات والهيئات والمؤسسات والائتلاف ووحدة التنسيق والدعم، لكننا لم نتلقَ أي رد من أحد، ما دعانا للإضراب بسبب عدم اكتراث أية منظمة إنسانية والحكومة والائتلاف ووحدة التنسيق والدعم بنا نحن النازحين.

وعن المعاناة التي يعيشها اللاجئون، يقول أبو محمد: نعاني من عدم وجود أي وسيلة للتدفئة، وانعدام بدائل السكن للخيام المقتلعة، وأي مواد غذائية تساعد على بقائنا أحياء في ظل هذه الظروف القاسية، وانعدام فرص الحياة للأطفال الرضع في ظل ندرة حليب الأطفال لمساعدة الأمهات في الإرضاع بسبب البرد الشديد، وتردي حالة الطرق التي لا تسمح للسير، وعدم وجود سيارة إسعاف وطاقم طبي لتقديم الخدمات الصحية للاجئين، وقلة مياه الشرب.

وبإمكاني القول إن الإضراب سينجح لأن مطالبنا محقة، وهناك بوادر مفاوضات لحضور اجتماع مرتقب في الريحانية مع رئيس الائتلاف ورئيس الحكومة المؤقتة ورئيسة وحدة الدعم والتنسيق.

من جانبه قال السيد محمد النعيمي مدير الرابطة السورية لحقوق اللاجئين: نحن في السنة الرابعة من عمر الثورة ومازال التقصير والإهمال واضحاً في التعامل مع قضايا اللاجئين، نحن نعلم أن الكارثة أكبر من طاقة الائتلاف أو الحكومة المؤقتة على تحملها لكن ما يمكن تقديمه للنازحين قد تراخوا عنه أو أهملوا القيام به.

وحول الإضراب يضيف النعيمي: إن مخيمات ريف إدلب الشمالي التي أعلنت الإضراب هي ٦٥ مخيماً، وقد تجاوز عدد المضربين ١٤٠ ألف نازح مضرب عن الطعام، ولقد تم إعفاء النساء والأطفال من متابعة الإضراب، واستمر الشباب بذلك، وقد أبلغت بوفاة أحد الرجال بسبب الإضراب، ونقوم حالياً بتوثيق الحادثة.

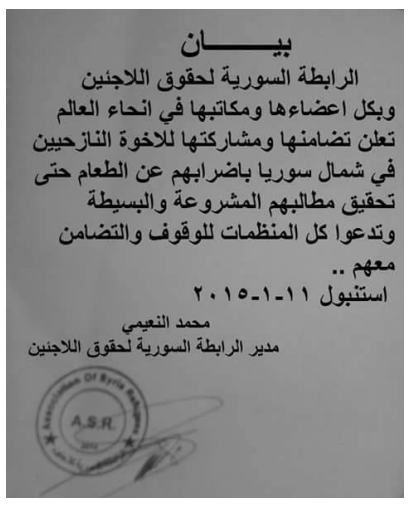

وحول الأوضاع المعيشية في المخيمات قال النعيمي: الوضع أكثر من مأساوي وتعجز الكلمات عن وصف الحالة الكارثية التي يعيشها النازحون في هذه المخيمات، إن مطالب النازحين بسيطة ومحقة، وهي تتلخص بمحاولتهم الجادة للبقاء على قيد الحياة، المضربون يطالبون بالخبز والطحين والدواء والغذاء وأحذية وثياب لأطفالهم، وأسباب بسيطة للتدفئة تقيهم برد الشتاء، ولا يخلو الأمر من وجود بعض المطالب الثورية التي يطالب بها النازحون كتشكيل هيئة للمهجرين والنازحين وهيئة رقابية على أموال الثورة بالإضافة لإلغاء بعض الوزارات التي لا جدوى من وجودها، ولا أظن أن هذه المطالب تعجيزية للحكومة والائتلاف.

وأخيراً حذر مدير الرابطة السورية لحقوق اللاجئين من تداعيات الإضراب بقوله: الوضع الذي يعيشه النازحون كارثي، وأنا أحذر من وقوع كارثة إنسانية قد يتعرض لها النازحون في الريف الشمالي لمدينة إدلب، في حال لم تتحرك الجهات المسؤولة وتتدارك الوضع وتلبي مطالب أهلنا في المخيمات.

وفي سياق تداعيات أحداث الإضراب يقول الناشط خالد خالد: أهالي تجمع مخيم أطمة أعلنوا الاضراب عن الطعام، لكن السؤال هل كان لديهم طعام لكي يضربوا عنه؟!

طعامهم الوحيد الذي كانوا يقتاتون منه هو ما يأتيهم من المطبخ الموجود في المخيم، ولحسن الحظ، فقد أوقف عنه الدعم من قبل الحكومة المؤقتة بحجة إفلاسها، فلم يبقَ عندهم طعاماً لكي يضربوا عنه! والأفضل لهم أن يضربوا عن الهواء، لكي يموتوا ويرتاحوا من الحكومة المؤقتة والمنظمات الإنسانية.

هكذا هو حال اللاجئين في مخيمات الشمال السوري، فهل تبقى الحكومة المؤقتة ومعها الائتلاف ووحدة الدعم والتنسيق، يسمعون بأذن من طين وأذن من عجين؟! أسئلة نضعها أمامهم، وننتظر أن يستجيبوا لمطالب المضربين عن الطعام.

يوسف دعيس

الرقة وعام جديد من القصف!

استقبلت مدينة الرقة عامها الجديد بأربع غارات جوية من طيران النظام مستخدماً فيها هذه المرة الصواريخ الفراغية الفائقة التدمير والقتل، حيث تركز القصف على المنطقة الجنوبية من المدينة، منطقة كورنيش نهر الفرات وجسر المنصور، وتركزت إحدى الغارات على محطة المياه بالرقة، في محاولة من النظام لقطع المياه عن المدينة، مكرراً التجربة نفسها التي نفذها في باقي المدن السورية، علماً أن مدينة الرقة تعاني من انقطاع شبه دائم للكهرباء، بعد استهداف الطيران لمحطات التوليد وأبراج التوتر العالي، التي تغذي المدينة، أدى قصف محطة المياه لانقطاع كامل للمياه على المدينة، حيث قام العاملون في المؤسسة بإصلاح العطل خلال ساعات، وإعادة المياه الى المواطنين بجهود فردية جبارة.

وفي تمام الساعة ٩,٤٥ ليلاً حلق طيران التحالف في سماء المدينة مرة أخرى حيث سبقتها طلعات استطلاعية كثيرة للطيران نهاراً، ونفذ عشر غارات شمالي المدينة، فيما ذكر ناشطون عن احتمال تنفيذ عملية إنزال مظلي، قد تكون محاولة لتحرير الطيار الأردني الذي سبق أسره من قبل تنظيم الدولة الإسلامية بعد إسقاط طائرته شرق مدينة الرقة.

وذكر ناشطون أن تنظيم الدولة قام بإنشاء حواجز داخل المدينة لتفتيش السيارات والأشخاص. أما ما يخص عملية الإنزال، فهي بحد ذاتها كانت سبباً في اختلاف الأخبار حولها بين مؤكد ونافٍ للخبر، حيث أفادنا أحد الناشطين القريب من منطقة الإنزال أنها كانت محاولة لم تتم، في حين ذكرت بعض الصحف العالمية عن نجاح عملية الإنزال هذه، في الوقت ذاته أصدر تنظيم الدولة الإسلامية بياناً طالب فيه الأردن بعدم مشاركة قوات التحالف بالهجوم على مواقع التنظيم، إضافة لطلبه من الأردن بعدم استخدام القواعد التابعة للتحالف الموجودة على أراضيه، وإطلاق سراح أكثر من خمسين قيادياً للتنظيم محتجزين في العراق، كشرط أساسي لعملية التبادل والإفراج عن الطيار الأردني معاذ الكساسبة.

وفي بيان لاحق نشره تنظيم الدولة الإسلامية على مواقع التواصل الاجتماعي عبر شبكته الإعلامية «أعماق» ذكر فيه عن قيام التنظيم بإعدام الطيار الأردني ظهر يوم الجمعة الموافق في ٢٠١٥/١/٢ وقد وعد التنظيم بنشر فيديو الإعدام لاحقاً.

لم تتوقف الطلعات الجوية كل الليل ففي تمام الساعة السادسة صباحاً من يوم الجمعة ٢٠١٥/١/٢ سُمع دوي انفجار هائل هزّ أركان المدينة مما شكل رعباً حقيقياً عند الأهالي، ليعود الطيران بعدها وأثناء صلاة الجمعة بالتحليق على علو منخفض، حيث بقي يحوم فترة طويلة في سماء المدينة، وذكر لنا بعض الناشطين والأهالي عن سماع أصوات مضادات أرضية تنطلق باتجاه الطائرات دون تحقيق أية إصابة تذكر، ترافق ذلك مع طلعات جوية لطائرات الاستطلاع بشكل مكثف.

في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الجمعة أغار طيران النظام على المدينة بعدة غارات مع فتح جدار الصوت، حيث طال القصف منطقة الفروسية وجسر الرومانية، فيما ذكر لنا بعض الأهالي أنهم شاهدوا تصاعد للدخان الكثيف من مناطق القصف.

كل هذا الدم، وهذا الموت والدمار لم يثنِ تنظيم الدولة الإسلامية عن الإعدامات وقطع الرؤوس ففي تاريخ ٢٠١٥/١/٣ تم إعدام الشاب جهاد الغدير تلاه في اليوم التالي الشاب أحمد الرفيع، وكذلك عن إصدار العديد من التشريعات التي تضيق الخناق على رعاياها كما تطلق عليهم، في حين تناسى التنظيم أن هناك عدواً أكبر يجب محاربته وإسقاطه وبناء دولتهم.

العاصفة الثلجية.. تزيد من معاناة السوريين

طغت في الأيام الأخيرة أخبار العاصفة الثلجية في الشرق الأوسط على أصوات المدافع وآلات القتل والتدمير، فبرودة هذه العاصفة التي ضربت عدة دول في المنطقة، أطفأت لهيب الأحداث سواء في العراق أو سورية أو اليمن وغيرها من مناطق تشهد حروباً ونزاعات

أطلق على العاصفة في الأردن وسورية اسم «هدى» ، كما سميت «زينة» في لبنان، اللاجئون السوريون الذين يعيشون ظروفاً صعبة في الأصل، هبت هذه الرياح لتزيد من معاناتهم، خاصة مع غياب وسائل التدفئة الضرورية للتعامل مع هذا البرد القارس، ويعاني السوريون المهجرون خارج سورية في مخيمات اللجوء من قسوة الحياة بالإضافة إلى قسوة الظروف الجوية، حيث يعيشون في خيام لا تصد البرد عنهم، بالإضافة إلى افتقارهم لوسائل التدفئة اللازمة لحماية حياة الأطفال، والمرضى، والشيوخ، كما أن السوريين في الداخل، والنازحين الذين يسكنون مدناً أخرى غير مدنهم وقراهم، التي تسبب النظام السوري بطردهم منها، يعانون من نقص شديد في وسائل التدفئة ومن انقطاع التيار الكهربائي بشكل شبه تام، حيث تصل عدد ساعات الانقطاع إلى ٢٠ ساعة في اليوم، بالإضافة إلى ندرة مادة المازوت المعتمدة في التدفئة في الداخل السوري.

وحسب ما ذكرت وكالات الأنباء أن عدد الضحايا السوريين من العاصفة وصل إلى أكثر من ثلاثين شهيداً معظمهم من الأطفال والمرضى وكبار السن.

وفي تركيا قامت السلطات التركية بالمساعدة على إخلاء مخيم أطمة الذي أغرقته الثلوج وأنقذت سكانه من موت محتم تحت الثلج والصقيع، وقد نشطت الهيئات الإغاثية التركية والعربية، بتقديم المساعدات لسكان المخيمات رغم افتقار الكثير من هذه المخيمات إلى الشروط اللازمة لحماية سكانه المتروكين تحت رحمة العاصفة الثلجية الكبيرة!

ويذكر أن السلطات السورية تواصل الاعتقالات، والقصف، ضد مواطنيها رغم كل الظروف الجوية العنيفة، وتدفع المزيد من السوريين للفرار خارج مدنهم وقراهم وبلدهم، وذلك رغم موجة التعاطف العربي والعالمي مع اللاجئين السوريين، والمهجّرين، والنازحين، حيث أن السلطات السورية هي المسببة الرئيسية لمعاناة أكثر من عشرة ملايين سوري نازح ومهجّر خارج بيته أو خارج بلده!

وفي السياق ذاته أعرب وزير الصحة وائل أبو فاعور عن عدم رضاه على أداء المجتمع الدولي والمنظمات الدولية في ما يتعلق بمساعدة اللاجئين السوريين، مشيراً إلى أن هذا ظهر واضحاً خلال العاصفة الحالية «زينا» حيث اختفت المنظمات الدولية مع قدومها.

وقال أبو فاعور في تصريح خاص لوكالة أنباء الشرق الأوسط إنه أصدر «قراراً بعلاج أي مقيم في لبنان من آثار الطقس السيئ، سواء كان لبنانياً أو لاجئاً سورياً أو غيره في المستشفيات الحكومية من دون أي تكلفة، وذلك بالتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية.

وأضاف: إن المنظمات غير الحكومية في لبنان التي ظهرت مع بداية أزمة اللاجئين السوريين أثبتت فشلها خلال العاصفة الحالية نظراً إلى غياب التنسيق مع الدولة.

اثنا عشر قتيلاً في الاعتداء الإرهابي على مقر صحيفة «شارلي إيبدو»

مسيرة احتجاجية كبرى في باريس ومختلف المدن الفرنسية الكبرى

شهدت العاصمة الفرنسية باريس في يوم الأربعاء ٢٠١٥/١/٧ يوماً دامياً، تعرض خلاله مقر صحيفة شارلي إيبدو Charlie hebdo لاعتداء مسلح، قام به ثلاثة مسلحين مستخدمين الأسلحة الخفيفة، وصواريخ محمولة على الكتف، أسفر عن مقتل اثني عشر شخصاً، منهم ثمانية صحفيين من العاملين في الصحيفة. ولاذ المهاجمون بالفرار مستخدمين سيارة صغيرة، حيث شهدت شوارع باريس مطاردة انتهت بحصار المهاجمين، ومقتل الأخوين كواشي المتهمين بالحادثة، بالتوازي مع عملية قام بها أميدي كوليبالي الذي احتجز رهائن في المتجر اليهودي في باب فانسان في باريس، والذي أعلن لقناة BFM TV الفرنسية: «أنتمي إلى تنظيم الدولة الإسلامية وقمت بعمليتي هذه لدعم عملية الأخوين كواشي».

ودعا الرئيس الفرنسي لمسيرة مليونية تضامناً مع ضحايا صحيفة شارلي إيبدو في يوم الأحد ٢٠١٥/١/١١. وانطلقت في باريس مسيرة احتجاجية كبرى ضد الإرهاب واستنكاراً للاعتداء الإرهابي شارك فيها أكثر من مليوني فرنسي، بحضور الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند وقادة من مختلف دول العالم، وعدد من الزعماء العرب، وسط إجراءات أمنية مشددة.

وشارك من القادة العرب ملك الأردن عبد الله الثاني وزوجته الملكة رانيا، والرئيس الفلسطيني محمود عباس، ووزراء خارجية مصر، والمغرب، والإمارات، وروسيا، إضافة إلى رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو، ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو.

وقال الرئيس الفرنسي هولاند أمام أعضاء الحكومة في اجتماعهم في قصر الإليزيه: «إن باريس هي اليوم عاصمة العالم، وإن البلد بأسره سيرتقي إلى أفضل ما لديه».

وكانت صحيفة «يولاندس بوسطن» الدانماركية، أول من أثارت أزمة الرسوم المسيئة للنبي عام ٢٠٠٥، حيث خرج ملايين المتظاهرين في شتى أنحاء العالم الإسلامي منددين بالصحيفة، قبل أن تعلن صحيفة «شارلي ايبدو» تضامنها مع نظيرتها الدانماركية وأعادت نشر الرسوم المسيئة بالإضافة إلى رسوم كاريكاتيرية أخرى استفزت مشاعر المسلمين.

وقالت صحيفة «يولاندس بوسطن»، إنها «لن تعيد نشر الرسوم المسيئة للرسول التي نشرتها أو ستنشرها صحيفة (شارلي ايبدو)».

يذكر أن العدد الجديد لمجلة الكاريكاتير Charlie hebdo الفرنسية الساخرة الأول بعد الجريمة التي أودت بحياة مجموعة من أشهر رساميها صدر برقم خيالي من النسخ وصل إلى ثلاثة ملايين نسخة، وهي المجلة التي كانت تعاني من مشاكل مالية حقيقية تهدد بإغلاقها، وقد حمل الغلاف رسما كاريكاتيريا بعنوان: Tout est pardonné الغفران.

«وعد» مبادئ وأهداف ورسالة

الحزب الوطني للعدالة والدستور «السوري»

بدعوة من الأستاذ فيصل السلطان «رئيس شعبة الحزب في مدينة أورفا» وبحضور السيد شكري كيربوغا «رئيس جمعية عرب تركيا»، والمهندس أسامة الغثيث «أمين شعبة الحزب الوطني» بالإضافة لأعضاء قيادة الشعبة وأعضاء الحزب، والشيخ هاشم الجربا، والشيخ عبد العبار، وأعضاء مجلس إدارة منظمة «رتاج»، ورئيس الرابطة السورية للمعلمين الأحرار «فرع الحسكة»، ولفيف من المواطنين والمهتمين بالأمر العام، القيت محاضرة عن تجربة حزب العدالة والتنمية التركي في مقر الحزب الوطني للعدالة والدستور بمدينة أورفا، ابتدأت بالوقوف دقيقة صمت على شهداء سورية الأبرار، وكلمة ترحيب من السيد فيصل السلطان بالمحاضر السيد شكري والسادة الحضور.

انطلقت فكرة العدالة بعد أن عانى الشعب التركي المسلم من تراكمات قديمة، تركزت على محاربة الدين الإسلامي في تركيا، بمساعدة من الدول الغربية وعلى رأسها بريطانيا.

بداية تأسس حزب قومي تركي وتم حذف كل الكلمات العربية والفارسية، حيث تم إصدار قاموس إمبراطوري عثماني - بريطاني في عام ١٨٦٠ يحتوي على ١١٥ ألفاً من الكلمات العثمانية ومثلها بريطانيا، وبمرور الزمن تم اختصار الكثير من الكلمات العثمانية، وفي حكم أتاتورك تم إغلاق المدارس كلها لأنها تعلم اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي، وبدأت المدارس بالاعتماد على الكتب الفلسفية والعلمانية، وكان يمنع إدخال أي عنصر في الجيش التركي في حال التأكد أنه مسلم، ويقوم بأداء واجباته الدينية.

في عام ١٩٦٨ أسس نجم الدين أربكان حزب السلامة بفكر إخواني «النظام العادل» حيث كان يسعى الحزب إلى الاعتماد على الصناعات التركية المحلية، ورغم محاربة الغرب لهذا المشروع إلا أنه نجح في إنشاء مصانع ومعامل اسمنت وحديد مسلح وسيارات برمائية، إضافة إلى تصنيع الأسلحة العسكرية، مما زاد من تخوف بريطانيا من دخول تركيا سوق السلاح والصناعات الثقيلة، ورغم ما كانت تعانيه تركيا من ديون كبيرة أدت إلى توقف رواتب الموظفين ووجود أزمة غذائية كبيرة، إلا أنه تم الاهتمام برواتب الجيش والحكام والقضاة لتحقيق العدل، ومن هنا انطلقت فكرة العدالة التي انطلق منها حزب العدالة والتنمية التركي. كان السيد رجب طيب أردوغان رئيساً لبلدية استانبول، حيث استطاع خلال أربع سنوات النهوض بكل الخدمات التي تخص المدينة، وكان اهتمام السيد أردوغان بالإعلام كبيراً، وبتوطيد العلاقات مع الشرق الاوسط ودول الخليج العربي والحصول على الدعم منها، حيث تم تشغيل الكثير من المصانع والاستثمارات الكبيرة، اضافة الى الاهتمام بالقنوات الاعلامية حيث نجد أن نصف القنوات التلفزيونية مؤيدة لحزب العدالة والتنمية.

ولا ننسى هنا الاهتمام الكبير بالخدمات العامة من مشافي حكومية وتأمين صحي للموظفين، والاهتمام بالتدريس والجامعات وتشجيع الأهل على إرسال أطفالهم للمدارس عن طريق تخصيص رواتب للطلاب، واهتم أيضاً بالجيش ودعمه بالخبرات الموثوقة، واستطاع النهوض بالاقتصاد التركي وايفاء كل الديون المترتبة عليها، وأضاف أن أردوغان محب لتركيا

وشعبها، وأن أعداءه يحبون عدالته في الحكم، وسوريا اليوم تحتاج الى مثل هذا الرجل، فأنا رغم معرفتي ولقاءاتي الكثيرة مع العديد من مسؤولي الحكومة السورية المؤقتة وأعضاء الائتلاف لم أجد بينهم من يحب وطنه ويعمل لأجله.

تحدث الأستاذ فيصل السلطان موضحاً: نحن في الحزب الوطني للعدالة والدستور نقتدي بتجربة حزب العدالة والتنمية والتركي، ونعتبرها تجربة ناجحة رغم محاربة الدول الغربية لها، إلا أن تصميم الحزب على النجاح وإرساء القاعدة الشعبية الكبيرة له جعل من أحلامهم هباء منثوراً. وأضاف نحن حزب وطني مستقل ذو مرجعية اسلامية وسطية، يعمل على ترسيخ مبادئ الحرية والعدالة بالوسائل الديمقراطية، ويتبنى الحزب مفاهيم الحرية والكرامة والعدالة والمساواة، والمواطنة والفصل بين السلطات.

يعتمد الحزب بمرجعيته الإسلامية الفهم الوسطي للإسلام، ويعتبر الحزب مفتوحاً لكل مكونات الشعب السوري، مع المحافظة على وحدة التراب السوري، وتحقيق التنمية والتقدم واستعادة حقوق الوطن وتحرير الأراضي المحتلة، وتحسين العلاقات مع دول الجوار، ونهدف الى بناء نظام حكم برلماني حر وتحقيق العدالة والتنمية ونظام قضائي عادل، والاهتمام بكافة شرائح الشعب دون تمييز.

على الصعيد ذاته، وفي المركز الثقافي السوري في مدينة أورفا وبتاريخ ٢٠١٥/١/١

افتتحت ندوة لطرح مسودة دستور «لحزب العدالة والتنمية السوري» الذي يترأسه الدكتور عمر شحرور، وبحضور السيد جلال الدين كوينج رئيس بلدية أورفا، والسيد ويسل بولات رئيس اتحاد الصحفيين الأتراك ولاية أورفا، ومنتدى الخابور المدني، وعدد كبير من الشخصيات المهتمة بالشأن العام. تحدث الدكتور عن آلية انشاء الحزب وأهدافه، موضحاً أن قدوتهم في ذلك حزب العدالة والتنمية التركي، لأن العدل أساس الحكم، مؤكداً على أهمية تركيا كحليف قوي لانتصار الثورة السورية ومن أهداف حزبنا: توحيد هذا الشعب العظيم في برنامج محدد يجب أن يكون «وطني عريض»، والسعي لتوحيد الفصائل العسكرية المجاهدة في الداخل السوري، والاهتمام بالشعب السوري في الداخل والخارج، وتأمين كل حاجياتهم بكرامة، وسنعمل على الاتصال بالحكومة التركية لنكون صوتاً للشعب السوري، وسنكون خادمين للشعب السوري والإسلامي.

تعميم سياسة عادلة وعالمية بحيث نكون شركاء مع الدول لتحرير بلادنا عن طريق مساعدتنا للنهوض بسوريا الحديثة من كافة النواحي.

وتحدث السيد جلال الدين كوينج رئيس بلدية أورفا بكلمة تمنى فيها النجاح لهذا الحزب والنصر للثورة السورية، وأن تكون سوريا حرة كريمة، وأن العدل سيأتي وينتهي عصر الظلام، ويتوقف القتل والوحشية والدمار، مؤكداً على وقوف تركيا حكومة وشعباً مع الشعب السوري ضد كل ظالم، وبكل السبل المتاحة، وسوف نبني معاً الحضارة الإسلامية، نبنيها على العدل والمساواة والمجد والإخوة، وسنربح نحن وسيخسر الظالمون في النهاية، نحن نأمل أن نقدم للشعب السوري كل ما يحتاجه فنحن إخوة في الإسلام، ولا نفرق بين أحد، وفي النهاية تم طرح عدد من الأسئلة أجاب عليها الدكتور عمر شحرور.

أحزاب تتشكل في الخارج تقتدي بتجربة حزب العدالة والتنمية التركي، لكن هل سنجد فيهم رجلاً مخلصاً لوطنه وشعبه وقضيته؟؟

سوريا ساحة لتقاطعات أم لمؤامرات دولية؟

جبر الشوفي

بعد صمت مديد ومريب أعقب فشل جنيف٢، بدا وكأنّ العالم (الحرّ) أدار ظهره لعداد القتل والتدمير والنزوح وحصار الجوع، وأرخى للنظام حبلاً ليتابع حملاته البربرية الطائفية المتوحشة على الآمنين، مكتفياً منه إذعانه لاتفاقية جنيف، والقرار ٢١١٨ وتسليم ترسانته الكيميائية كاملة، ولم يعد معنياً بكل ما يقوم به من جرائم، بما فيها تكرار استخدامه للبراميل المتفجرة، وغازات محرمة دولياً أخرى لم تشملها الاتفاقية.

ولكنّ إعلان البغدادي «الدولة الإسلامية» بعد التساقط الكاريكاتوري لجيش العراق في الموصل والأنبار وغيرها، وسرعة استيلائه على مساحات شاسعة في العراق وسورية، أعاد المسألة الداعشية إلى واجهة الحدث، فكان التحالف الدولي، وكانت الضربات الجوية، التي لم تقنع أحداً حتى الآن بأنها العلاج الشافي لسرطان الإرهاب المستشري، والذي بات يهدد المجتمع الدولي برمته، وهو ما أكده الاعتداء الأخير على صحيفة شارلي.

استفراد الأمريكان وحلفائهم بالتحالف، وإدارة الظهر لإرهاب النظام وحلفائه، وتهميش الروس والإيرانيين والائتلاف الوطني، اعتبر من هؤلاء جميعاً أمراً مريباً واستخفافاً بهم، فكان الردّ الروسي، بدعوة معاذ الخطيب ومن معه، ومن ثمّ دعوة وزير خارجية النظام، ومن ثم زيارة بغدانوف لسورية ولبنان، والحديث عن مبادرة روسية، هي مجرد لقاء تشاوري يجمع أطراف من المعارضة مع وفد النظام، والخروج برؤية غير ملزمة لأحد وغير متبناة من أية جهة دولية، مما يجعل منها مجرد لعب في الوقت الضائع.

واضح أن الروس يحاولون أن يعيدوا توازناً افتقدوه على الساحة الدولية، من بعد أوكرانيا، وفي ظل الأزمة الاقتصادية الخانقة، والإطلالة الحذرة للمعارضة الروسية، وأن بوابة هذا الظهور وهذه العودة غير ميسرة حالياً إلا عبر البوابة السورية، باعتبارها نقطة التجاذب والتقاطع بينها وبين الغرب، ومن خلالها ترد على الاستفراد الأمريكي، بمحاولة استجرار بعض أطراف المعارضة السورية، التي أعلنت إفلاسها وتعبها وأنهكت، وباتت قابلة لأيّ حل ينقذ العباد والبلاد من القتل والتدمير ومخاطر الإرهاب، من دون الانتباه إلى ما في مضمر النوايا الروسية، من التوجه إلى القفز من فوق مرجعية جنيف١ والهيئة الانتقالية، وإعادة تسويق بشار الأسد والنظام وصولاً إلى هيئة انتقالية، تحت ظل النظام بجناحيه المنهكين، أمنياً واقتصادياً، بحجة الحفاظ على مؤسسات الدولة.

الغريب في هذه التوجهات هو الصمت الأمريكي، وتجاهلهم لكل بهلوانيات الروس واطمئنانهم، إلى أنّ هذه الألاعيب ليست إلا محاولة فاشلة لكسر الجمود، ولفت الأنظار لردّ اعتبار للقيصر المتروك ليغرد خارج السرب، مكتفياً بأوهام عظمته واستكباره، بعد أن اضطر إلى تقديم تنازلات محرجة على الساحة الأوكرانية، وبعد أن بات يخشى من توافق إيراني أمريكي غربي على المسألة النووية، مقابل تفويض لإيران، بشروط أمريكية، تتضمن الحفاظ على خط الطاقة آمناً، وتأمين أمن حلفائهم ولاسيما إسرائيل، ومكافحة الإرهاب، بعد حصره بالإرهاب السني، والتغاضي عن الإرهاب الشيعي الموازي، والأكثر خطورة لربما، لارتباطه بدولة ذات طموحات إمبراطورية، وبعقائدية عصابية أخذت تتغلغل في المنطقة، للسيطرة على المنافذ المائية، بدءاً من السواحل اللبنانية السورية وصولاً إلى باب المندب.

وعلى حين يتجاهل الغرب دعوات موسكو وعبثها، وعلى حين رفضتها تشكيلات المعارضة العسكرية والسياسية السورية، ما عدا تلك الملتبسة والشابكة خيوطها مع النظام، تأخذ مبادرة المبعوث الدولي دي مستورا الاهتمام الأكبر وتناقش بجدية في أوساط غربية وإقليمية وسورية، ويزداد الاهتمام بها، مع تأجيل زيارته إلى دمشق، لإتاحة الفرصة لمناقشة التعديلات والخطوط الأولية لخطته.

تبدأ خطة دي مستورا، بالعمل على المحور العمودي الصاعد، عبر إيقاف القتال على أرض حلب، ثمّ استعادة الأمن والخدمات الاجتماعية، وتأمين حياة العائدين، ومن ثم البناء عليها باتفاق سياسي يوقع تحت إشراف المجتمع الدولي من طرفي النظام والمعارضة ذات الشأن، وبضمانات دولية ومساعدات لوجستية ومالية ودبلوماسية، وبعد التأكد من نجاح التجربة، يبدأ بالتوسع والانتشار الأفقي، بالانتقال إلى مناطق أخرى لتطبيقها.

تبدو هذه الخطة أكثر واقعية، وأكثر إقناعاً من غيرها، لاعتمادها الدبلوماسية الهادئة، والبناء على القاعدة الاجتماعية المنهكة، وأكثر قوة لأنها تعتمد على مرجعية قانونية دولية، وتفسح المجال للهيئات الدولية، المفترض أنها محايدة أن تجرب حظها، ولكن القلق من استغلال النظام للهدنة، لالتقاط أنفاسه وتجميع قواه للسيطرة على مناطق أخرى وإخضاعها، يبقى مشروعاً، كما يبقى مشروعاً التخوف من تكرار تجربة حمص، ورفض النظام إدخال المواطنين، إلى بيوتهم والعودة لممارسة حياتهم الطبيعية.

المشكلة أننا مقيدون ومرهونون للجهود الدولية، ولتنافس الدول وتجاذب مصالحها، وأن النظام لن يقدم على خطوة، إلا بإذن من الإيرانيين، حماته التقليديين وأولياء نعمته، والمقررين الحقيقين في المسألة السورية، ولا بدّ من قراءة متأنية وتفاعل إيجابي من المعارضة المسؤولة، لكشف كل ملابساتها، ولتصبح قابلة للتداول والتعميم، وتصب في المآل، في مسألة التغيير الوطني الديمقراطي، وإلا فكل جهد هباء!

الحرملي

ما بعد شارلي إيبدو

الأحداث المتسارعة التي شهدتها العاصمة الفرنسية باريس مؤخراً، والتي بدأت بالهجوم الإرهابي على مقر صحيفة شارلي إيبدو الساخرة، وما أعقبه من تظاهرات احتجاجية تضامناً مع ضحايا العملية الإرهابية، وكانت أكبرها المسيرة المليونية الكبرى التي دعا إليها الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند.

أخبار باريس، والموقف الفرنسي من الإرهاب، والدعوة الأمريكية لمؤتمر دولي لمحاربة الإرهاب، احتلت واجهة الأخبار في مختلف وسائل الإعلام، وغابت أخبار القتل والتدمير التي تطال الشعب السوري، واختفت أخبار التنديد والشجب التي ألفتها أسماعنا دون أن يكون لها أي تأثير رغم ضجيجها الإعلامي الذي تعودنا عليه سابقاً، وكان النظام السوري هو الرابح الأكبر من تداعيات هذه الأحداث ومنعكساتها على أرض الواقع، ليعود الألق مجدداً لمبادرة المبعوث الأممي ديمستورا، ودعوة الروس لمبادرة الحوار بين النظام وعدد من أركان المعارضة السورية في الداخل والخارج.

قبل أحداث باريس الأخيرة كانت قد انطلقت تصريحات فرنسية من هنا وهناك تؤكد تقصيرهم في إسقاط النظام السوري بعد قصفه الكيماوي لمناطق مدنية في غوطتي دمشق، والشمال السوري، والتي جاءت متوازية مع الموقف التركي الذي يعطي الأولوية لإسقاط الأسد مع إقامة مناطق حظر جوي في الشمال السوري. كل ذلك جاء مترافقاً مع العاصفة زينا التي ضربت شرق المتوسط، والتي أسقطت آمال السوريين في لجوئهم القسري في مخيمات اللجوء من حسابات المجتمع الدولي واهتماماته الإنسانية.

من المؤسف أن نرى صور رئيس الوزراء الإسرائيلي تتصدر المشهد الدولي في محاربة الإرهاب، ومن المؤسف جداً أن نسمع أخبار قصف الطيران السوري لمدن وأرياف سوريا، وما يحدثه من قتل وتدمير، تحت ذريعة محاربة الإرهاب، وهما الصانعان الأساسيان للإرهاب بمباركة ورعاية أمريكية وروسية وإيرانية، وهما من هيأ الظروف لمثل هذه المجموعات الإرهابية للقيام بأعمال إرهابية طالت باريس، وربما تمتد لتطال عواصم غربية أخرى، وربما سيتيح لنا ذهاب حاملة الطائرات الفرنسية شارل ديغول إلى المحيط الهندي لاستخلاص مواقف مستجدة لفرنسا تجاه المسألة السورية، وهو ما يضعنا أخيراً وجهاً لوجه أمام سؤالنا المتكرر هل جاءت جريمة باريس لتغطية جريمة المجتمع الدولي تجاه مأساة السوريين المتفاقمة في ظل غياب السؤال الأساسي المتعلق في البحث عن أسباب الإرهاب؟.

الحرملي

سوريا: غروب الإرهاب وشروق الانتداب

معبد الحسون

تحدثتُ في مقالتي الأولى في «الحرمل»، في إصدارها الأول، منذ حوالي الأربعة أشهر، وتحت عنوان (سوريا: غروب الإرهاب وشروق الانتداب) أن المأساة السورية جعلت تأخذ سمتاً في التوجه نحو حالة فريدة وغير مسبوقة إلا فيما ندر.. حالة لا يمكن وصفها بتدوير الانتداب القديم، ذي الشكل والطبيعة التقليدية، ولا هي تتجه نحو حالة من الهيمنة الاستعمارية في صيغتها التقليدية، بما يرافق دقة التعبير من وصف.. الأرجح والأصدق توصيفاً أنها ذاهبة إلى مناطق حكم ذاتي، تكون مرتبطة الصلة ببعضها، وبمقدار ما تحتمله من الوشائج والارتباطات مع المركز ـ العاصمة دمشق ـ كما أنها تمارس في الوقت نفسه شكلاً من الارتباط، غير متعين أو متحدد الصفات، مع الجهة الدولية والإقليمية التي سوف تتوافق مشاريعها على إعادة الإعمار. ولقد بات من الجلي أن ضبابية المصالح والتدخلات الإقليمية والدولية باتت تتكشف سياقاتها العامة، وتُبرز للمراقبين خطوطَ التناقضات والتوافقات فيما بينها في أنساق تتجاذبها ثلاثة مشاريع، ترتد مآلاتها إلى أطراف ثلاثة، والتي سوف ترتبط عضوياً بمجالاتها الثلاثة:

الطرف الأول التركي: حيث سيكون مجاله الحيوي محافظات حلب وإدلب وريف حماة الغربي والشمالي وشمال الساحل السوري (منطقة جبل الأكراد).

الطرف الثاني الخليجي /الأردني/ الغربي: ومجاله الحيوي سيكون المنطقة الشرقية بمحافظاتها الثلاث: الرقة ـ دير الزور ـ الحسكة، عدا عن المنطقة الجنوبية بمحافظاتها الثلاث، مع تسهيلات للأردن، وتوسيع تفويضها في إدارة سياسات الفراغ التمثيلي في المرحلة المقبلة، ويلحق بالمنطقة الجنوبية ريف العاصمة، مع الإبقاء لحمص على وضعية خاصة: المدينة شراكة بين الطرفين الثاني والثالث، والبادية منطقة توازع نفوذ بين المنطقة الشرقية وحمص المحافظة.

الطرف الثالث الإيراني الروسي، وممثلهم الطبيعي بقايا نظام الأسد ورموزه الباهتة التي يعمل على ضخ الحياة في شرايينها وإنعاشها من أجل استمرارها وظيفياً لتمثيل وإنابة الدور الروسي الإيراني في المنطقة، وتخصيصه بمجال أو طيف إقليمي كجزء من ورقة تنازله الأخيرة في آخر ورقة حل تفاوضي.. ومجاله الحيوي الطبيعي سيكون الساحل بمحافظتيه مع جزء من حمص.

تفريغ الكانتونات الكردية المتنازع عليها في المجال الحيوي لتركيا (عفرين ـ عين العرب ـ بعض مناطق ريف إدلب)، وتجميعها في الشريط الممتد من شرقي تل أبيض وصولاً إلى آخر محافظة الحسكة، ومنحهم منطقة محلية الإدارة الذاتية في هذا الشريط، وبتوافق غربي/ تركي محدود بمواثيق صارمة، ونقاط حمر متفق عليها مع حكومة كردستان العراق.

التشارك الأمريكي ـ التركي في المسألة السورية كان، وسيبقى إلى أمد لاحق، في النقاط والمبادئ التالية:

١ ـ ترك الحرائق تشتعل حتى مدياتها القصوى، والعمل على توجيهها التوجيه المطلوب لخدمة هذه الاستراتيجية العليا، شبه النهائية. ٢ ـ التعامل مع الحريق السوري بمبدأ التخامد الطبيعي للنار، وتحولها إلى رماد بحكم منطق الأشياء، ثم صوغها جغرافياً وبشرياً من بقايا هذا الرماد.. ولابأس من إضفاء بعض السياسات الموحية بأن الجميع يقوم بواجباته الأخلاقية، وما يفترض أن يعمل عليه إجرائياً، ولو في الحدود الدنيا، قدر الإمكان والمتاح.. على الأقل من زاوية تحسين الصورة الإعلامية في نظر الجمهور المتابع والمراقب. تفصيل منطقة الشمال، والشمال/ شرق السوري.. ومنطقة الشمال، والشمال/ غرب السوري بمنطق استقلال المصالح.. وعلى مبدأ المجال الحيوي الطبيعي الذي سيكون شبيهاً ـ في حدود التشبيه ـ بهونغ كونغ قبل استقلالها عن بريطانيا وعودتها إلى الصين الأم، أو قريباً من النموذج الصربي بعد استقلال جمهورياته عن بلغراد.

بقي أن نؤكد على ثلاث نقاط.. الأولى: أن داعش كانت الآلة الوظيفية الطبيعية التي شاركت في صناعتها الأطراف الثلاثة من أجل تسهيل تليين وحراثة الأرض السورية والوصول بهذه النتيجة دون مواجهة قوة تصدي، وعطالة مقاومة من قبل الثورة السورية والثوار. فهي الفاعل الأساسي في تهجير وتفريغ أماكن جغرافية على حساب ملء جغرافيا أخرى، وتقليص قوى وتقليم أظفارها أو إزالتها واستئصالها حسماً لمبدأ إشعال الحرائق وتركها تنطفئ بقانون استفراغ كامل قواها الطبيعية، وذلك حتى تصبح عجينة المكان والزمان والسكان جاهزة للصياغة بالقالب المثالي المطلوب صياغته.. على المبدأ ذاته، سيتم تقليص قوتها تمهيداً لنقلها إلى مواضع حريق آخر (إن لم يتم القضاء عليها نهائياً) أو إخراجها من مسرح الحدث اتفاقاً بين الأطراف الثلاثة التي عملت شراكةً على صناعتها من أجل هذه الغاية..

الثانية: المتوقع أن ما يسمى بالائتلاف الوطني (بوصفه رمزياً ممثلاً لقوى الثورة والمعارضة على المستوى الدولي) سوف يتم إخراجه من حالة الموت السريري وثلاجة الموتى التي وضع فيها وتجمدت أوضاعه فيها منذ زمن طويل، وذلك بغية تذويبه كبقايا محلول كيماوي فور الدخول في مراحل هذه الاستراتيجية الجديدة وخواتيمها.. والمرجح أن يكون البديل عنه ثلاثة أجسام (أو ثلاثة ائتلافات) سياسية، تكون ممثلة لكل مجال حيوي من المجالات الثلاثة التي ذكرتها.. أما الحكومة المؤقتة، فعلى الأرجح أن يتم الإبقاء عليها موحدة شكلياً، ولكن دون فاعلية أو فعل حقيقي على الأرض، مع اتكال المناطق ـ في الشق التنفيذي ـ على الأرض، على مجالسها المحلية وممثليها في كل منطقة، ودون الاعتماد أو الرجوع إلى الحكومة أو الاعتماد عليها إلا في نطاقات ضيقة.

الثالثة: أن الثورة السورية مستمرة، وستبقى حية رغم كل هذا التفصيل السابق.. فهي إن زلزلت كل قواعد المجتمع القديم وصدعته: السلطة الدكتاتورية، ثوابت الثقافة والبنى الفوقية المتكلسة منذ قرابة قرن من الزمن، وبنى إنتاج تحتية تكاد تنتمي إلى الماضي بكل تفاصيلها.. فإن البناء الجديد لسوريا الجديدة ما يزال رهناً بنضج وتنامي الوعي الثوري والمدني الديمقراطي، والحداثي العصري، مشفوعاً بنضج العلاقة السياسية المتطورة للشعب السوري وقدرته على توليد شبكة متطورة ومنظومة كاملة مهيأة لإحداث التغيير السياسي والثقافي والاقتصادي التي تحسن قراءة شروط المرحلة بشكل مضطرد، والبناء عليه بالشكل المطلوب.

كيف نستطيع إصلاح مؤسسات الثورة، التي تبدأ أولاً بإصلاح الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، في هذا الموجز الذي تم تلخيصه من دراسة معمقة تتضمن مشروعاً إصلاحياً للائتلاف، نتلمس من خلاله قراءة جدية للسياسي والمفكر ميشيل كيلو..

مقترحات لإصلاح الائتلاف

ميشيل كيلو

مأسسة قيادة الائتلاف تبدأ بإعادة هيكلتها، ليقود أعضاء الهيئة الرئاسية مكاتب متخصصة متكاملة المهام، لديها موازنات ويشتغل فيها موظفون متفرغون، على أن يكون كل مكتب وموظفيه مسؤولين أمام هيئة الرئاسة، التي تعمل كفريق واحد، وهيئة الائتلاف العامة: مرجعية الجميع وصاحبة القرار الفصل في كل الأمور، لذلك يزودها رئيس الائتلاف بتقارير نصف شهرية حول ما يستجد من أحداث ومعلومات، وما تنوي هيئة الرئاسة فعله وتخطط له من مشاريع وتدابير وزيارات، وتواجهه الثورة من مشكلات وتنجزه من نجاحات، وتقيمه من علاقات. ومأسسة قواعده من خلال تجديد ربعها كل سنة، بالانتخاب الحر والسري والمباشر والعام، بحيث يمضي عضو الائتلاف أربعة أعوام فيه، شأنه في ذلك شأن أي عضو برلمان منتخب. إلى هذا، ومن أجل تعميم منافع مبدأ المشاركة، ستشكل الرئاسة «هيئة استشارية وطنية» تضم مسؤولين سابقين وحاليين في المجلس الوطني والائتلاف، إلى جانب أهل خبرة وتاريخ من اختصاصات وأدوار متنوعة، يختارهم من خارجه. لا تكتمل مأسسة الائتلاف ويستكمل عمل هيئاته دون مدونة تنظيمية/ سياسية ميثاقية تشجع تشكيل محورين أو تيارين داخله: حاكم ومعارض، يمارسان فيه حياة برلمانية منتظمة تضع حداً لانقساماته إلى شلل وكتل صغيرة تشل حركته، وتجعل منه مكان عمل وطني لا دور فيه لصراعات تعطيلية، يكون ولاء محوريه للشعب والثورة وليس لأطراف خارجية، وتتعين مواقفهما ومصالحهما بدلالة مبادئه الميثاقية التوافقية، وما ينبثق عنها من سياسات ومصالح مشتركة يتم تطويرها بالتشاور والحوار في الهيئتين الرئاسية والاستشارية، وعلى الصعيد الوطني العام وصعيد هيئته العامة، فتتقلص بذلك قدرة تكتلاتها على رؤية الائتلاف وعلاقاته الداخلية والخارجية في ضوء مصالحها الضيقة، التي تأخذ بالضرورة شكلاً انقسامياً تترجمه صراعات تستنزف الائتلاف وقدرته على الحركة ومواجهة مهامه، وتمنع الائتلافيين من أخذ مواقفهم في حاضنة ما يجمعهم من مشتركات معطلة، وتجعلهم عاجزين عن إصلاح أحواله وتطوير وظائفه وإنجاز العمل الوطني الذي عليهم القيام به، والخروج من دائرة خلافات تحكم قبضتها عليهم، وتحول بينهم وبين امتلاك دعم شعبي وصدقية سياسية، وتقف وراء تدهور مكانتهم وفاعليتهم، التي حولت الائتلاف إلى عبء ثقيل ولا نفع فيه للشعب والثورة. إلى ما تقدم، ستؤسس الرئاسة هيئات وطنية تعنى بشؤون المهجرين والمشردين، وأخرى تهتم بحقوق الإنسان وتعمل لوقف انتهاكها ومحاسبة مرتكبيها، وثالثة تتابع ثروات السوريين المسروقة وتعمل لاستعادتها إلى صاحبها الأصلي: الشعب السوري، ورابعة تشرف على أعمال تجارية وتنموية متشعبة تتكفل بتمويل الائتلاف وتأمين مبالغ تعزز استقلاليته وتخفف ضغوط الخارج عليه. هذه المؤسسات ستدار جميعها تحت إشراف أعضاء الائتلاف، الذين سيعملون فيها بدوام كامل وسيقيمون حيث توجد، على أن يحضروا إلى مقر الائتلاف في الموعد الشهري لاجتماع الهيئة العامة، الذي سينتظم انعقاده الدوري مهما كانت الظروف والعقبات، خارج فنادق النجوم.

ميثاق وطني بموافقة جميع القوى

١_التوصل إلى ميثاق وطني بموافقة جميع القوى التي أسهمت في إطلاق ودعم ثورة الحرية وتمسكت بطابعها الديمقراطي، سياسية كانت أم مدنية أم عسكرية، وبلورة تصور جامع بجهودها المشتركة حول الحل السياسي وسبل تحقيقه، لسد ثغرات كثيرة تقوض علاقات المكونات الوطنية المناضلة ببعضها، وتمكن النظام وبعض الخارج من استغلال انعدام التواصل بينها لإضعافها وفك علاقاتها مع المقاومة. بعد قرابة أربعة أعوام من الثورة، من العار أن لا يكون هناك أي حوار بين أطرافها في الداخل والخارج، وأن يقتصر التخاطب بينها على الاتهامات والشتائم.

ضم منتسبين يمثلون عدديا ونوعياً مختلف الجماعات الوطنية

٢_سيوسع الائتلاف صفوفه كي تضم منتسبين يمثلون عددياً ونوعياً مختلف مكونات الجماعة الوطنية السورية، وخاصة من استبعد من مؤسسات العمل الوطني بذريعة انتمائه للنظام أو تأييده له، وأنه لا جدوى من التواصل معه أو من محاولة إقناعه بالعمل في إطار الثورة ولصالح التغيير. لقد بلغت إبادة الشعب السوري طوراً متقدماً، وتمت بأيدي السوريين أنفسهم غالباً، فليس من المعقول أو المقبول أن تستمر المذبحة التي يتبين كل يوم أن أحداً لا يفيد منها غير قبضة من المجرمين والقتلة الممسكين بالسلطة من أسرة الأسد وبطانتها، وتيار متشدد متطرف يشك في كونه من صنائعهم. لتتغير فقط العلاقة مع هؤلاء الذين أبعدوا عن الثورة أو أبعدوا أنفسهم عنها، بل سيتغير كذلك خطاب الائتلاف والجيش الحر، وستتغير طرق تعاملهما مع إخوة لنا يعني كسبهم التعجيل في انتصار الثورة، وإنقاذ شعبنا من هلاك محتم وحرب بلا نهاية. سنخاطب هؤلاء، فإن رفضوا لن نخسر شيئاً، وسيخسرون هم كل شيء، وإن توافقوا معنا أغلقنا باب التلاعب الدولي والسلطوي بنا، وحلنا دون تقديم حجج يتذرع بها المجرمون لإطالة الحرب ضد شعبنا.

جيش وطني مهني يضم تشكيلات محترفة

٣_يعني قيام جيش وطني حر تأسيس جيش مهني يضم تشكيلات محترفة ينضوي في صفوفها المقاتلون والمقاومون، ومن يقبلون الخضوع لإمرة قياداتها والعمل تحت إشرافها أو بالتنسيق معها. ويعني كذلك أن صفوفه ستبقى مفتوحة أمام الراغبين من جيش النظام في الانضمام إليه والاندماج في تشكيلاته. مثل هذا الجيش، يجب أن يكون قادراً على تجنيد معظم مقاتليه من الشبان، وأن تكون له قيادات مرجعيتها ليست مدنية أو ثورية، بل رئاسة الأركان، وأن تتبع وحداته وتشكيلاته لوزارة الدفاع، وتقاد من رئاسة أركان تتكون من رئيس وقادة الإدارات المختلفة، وقادة الجبهات الذين سيكونون نواباً محليين أو شخصيين لرئيس الأركان. لن يكون هناك بعد قيام الجيش أعطيات لهذا أو ذاك، أو مخصصات كيفية تتلاعب بها الأهواء ومجريات المعارك المزعومة أو الصحيحة، بل سيكون هناك موازنة لوزارة الدفاع، التي ستعطي الجبهات مخصصات طويلة الأمد، وفق قواعد عسكرية يمليها دورها في القتال وما تواجهه من تحديات، ومالية تنظمها قواعد محاسبية دقيقة. ستشتري الجبهات بقسم من موازناتها السنوية ما يلزم لإدامة معاركها وتقديم الرواتب والخدمات لمقاتليها، بما في ذلك تعويضات ورواتب تقاعدية للشهداء والجرحى، وستمتلك مؤسسات خدمية تمتلكها عادة الجيوش المهنية من مشافٍ ومستوصفات ومؤسسات استهلاكية واستراحات... الخ. لا داعي للقول إن الموازنة العامة ستخضع لرقابة مالية مستقلة، وستصرف طبقاً لأصول محاسبية حصينة ضد الفساد والهدر والاعتباطية.

أما استراتيجية الجيش القتالية، فلن تقوم بعد الآن على حرب المدن، بل على حرب الحركة وقطع طرق الإمداد والمواصلات، وسيكون هدفها اتخاذ كل ما هو ضروري من تدابير واستعدادات لمنع إنزال الهزيمة بالمقاومة في مرحلة أولى، وتنمية قدرات الجيش وعديده في الوقت نفسه لقلب نهائي في موازين القوى ضد النظام، وبدء حملات عسكرية كبرى تغطي معظم أراضي بلادنا في وقت واحد في مرحلة تالية، يتم خلالها تفكيك جيش النظام والتعاون مع وحداته التي ستقلع عن مقاتلة الجيش الحر وتبدي استعدادها للانضمام إليه.

حملات منظمة لكسب الرأي العام العالمي

٤_سيقوم إعلام الائتلاف بحملات منظمة لكسب الرأي العام العالمي، بجهود مكاتبه في الداخل وبلدان اللجوء ولوبيات أجنبية متخصصة تعمل في الخارج، وسيستخدم انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية والانتهاكات الفاضحة للمواثيق والعهود الدولية من أجل تعرية النظام والدفاع عن ديمقراطية الثورة، وحق الشعب في تقرير مصيره. وسيستعين الإعلام بالدوائر والجهات المعنية بهذه الحقوق ليعد محاكمة شعبية دولية تشارك فيها شخصيات رمزية دينية ودنيوية معروفة ومحترمة عالمياً، تمهيداً لتقديم بشار الأسد إلى محكمة مجرمي الحرب في لاهاي. وسيشن الائتلاف في الوقت نفسه حملة منظمة لا هوادة فيها لتوعية الشعب بسياساته وبرهانات الثورة الأصلية، وبمخاطر النزعات التكفيرية والمتطرفة على وحدة شعبنا ودولتنا واستقلال وسيادة وطننا.

علاقات برلمانية منظمة وقانونية بين الائتلاف والحكومة المؤقتة

٥_سيقيم الائتلاف علاقات برلمانية منظمة وقانونية مع الحكومة المؤقتة، وسيشرف على أعمالها في المجالين الخارجي والداخلي، وسيتعامل معها بوصفها جهازاً وطنياً من الضروري أن يكون حسن الإدارة والأداء، ومرجعية تنفيذية موثوقة للسوريات والسوريين، مكلفة برعايتهم وحل مشكلاتهم وتزويدهم بما يحتاجون إليه من عون وتعليم وعلاج وسكن، دون أن يصرفها اهتمامها بالشؤون اليومية عن إعادة بناء الوطن وإعداده لاستقبال السوريين في ديارهم، وإخراجهم من بؤس حالهم الراهنة في المهاجر.

٦_سيولي الائتلاف اهتماماً خاصاً ومركزاً لتنظيمات المجتمع المدني المختلفة داخل وخارج الوطن، وسيتعامل معها كطرف أصيل في الثورة من الضروري أن يكون ممثلاً بعدالة في مؤسساته السياسية والعسكرية والاعلامية والثقافية والإغاثية، لا سيما وأن هذه التنظيمات ستقوم بمهمة على قدر استثنائي من الأهمية، هي تطوير وتنفيذ أنشطة سياسية ومجتمعية وإعلامية وثقافية وإغاثية مبدعة في أماكن وجود السوريين، من شأنها تعزيز لحمة مجتمعهم، ومساعدة المهجرين والمشردين وأسر الشهداء والجرحى والمعتقلين على تجاوز مصاعبهم، والعناية بأسرهم وأطفالهم. لن يفعل الائتلاف شيئاً دون التعاون مع ممثلي المجتمع المدني وأخذ مشورتهم، والإفادة من خبراتهم وقدراتهم.

٧_لن ينجح الائتلاف في إنجاز هذا البرنامج دون إصلاح يبدل دوره وبنيته وأداءه، ويقربه من الصورة التي كانت عليها منظمة التحرير الفلسطينية، سواء من حيث وحدتها وديناميتها، أم تشعب أنشطتها، أم إمساكها بقضيتها وتمسكها باستقلالية قرارها، أم مشاركة مكوناتها الجماعية في خياراتها، أم فاعليتها الاقتصادية والمالية، أم قدرتها على تعبئة شعبها المبعثر والمشتت وتحملها المسؤولية عنه في جميع مناحي حياته، أم تمسكها بحقوقها دون تنازل عن أي منها، أم مرونتها في استعمال أوراقها وجرأتها على الدخول في علاقات مع خصومها لتطويعهم ووضعهم في خدمة قضيتها.

وأخيرا الانسجام بين تنوع مكوناتها وبين التزامها بتوافق وطني دائم، جعل معارضتها الداخلية مصدر إثراء لخطها العام الذي أقرته مجالسها الوطنية، وأداة ضغط على خصومها مكنتها من صياغة خط وحد أطيافها المختلفة في الدفاع عن مصالحها وأهدافها العليا، رغم خلافاتها الايديولوجية، التي بقيت خاصة بكل منها.

٨_في السياسة العامة، سيكون هناك تحول في سياسة الائتلاف نحو علاقات متوازنة وقائمة على ثوابت الثورة ومطالب الشعب مع أطراف المعضلة السورية، وتحالف مع الدول العربية والأجنبية، التي تعطي الأولوية لذهاب الأسد إلى الحرب ضد الإرهاب، وهي فرنسا وتركيا والمملكة العربية السعودية وبلدان الخليج، مما يحتم إقامة أوثق العلاقات معها، والإفادة منها للضغط على أميركا: الدولة التي أدارت أزمتنا طوال فترة ما بعد الثورة، واستخدمتنا لتصفية حساباتها مع روسيا وإيران، وانتهجت سياسات غير عادلة أو مترددة تجاهنا، إما بسبب سوء تقدير، أو ضعف وعزوف عن الانخراط في حرب، أو خوف من روسيا وإيران أو.. الخ، ولو كانت صادقة في دعمها لنا لدعمت توجهنا التحالفي الجديد، ولسعدت باستعدادنا لتخفيف أعبائها ولخوض معركة يمكن أن تفيد منها، وإلا فإننا لن نخسر حليفاً وداعماً لأن أميركا ليست حليفنا، وإن كان من الانتحار تحويلها إلى خصم، لأننا سنفقد عندئذ كل شيء وسنهزم شر هزيمة، وسنضع أنفسنا خارج الخطوط الحمراء التي حددتها للصراع، ويحتمل كثيراً أن تكون هزيمتنا واحداً من ممنوعاتها.

٩_هل سنكون قادرين على إنجاز هذه المهمة؟ جوابي نعم، إن كنا حقاً من طينة الثوار، وأخلصنا العمل، وعرفنا كيف نجعل من أنفسنا بديلاً للنظام مقنعاً عالمياً، وأخرجنا الائتلاف من دائرة تسيطر عليها خلافاتنا وانقساماتنا إلى رحاب القضية الوطنية، التي يتوقف استمراره على نجاحه في أن يكون أداة وحاضنة لها، واقعية الحسابات قاطعة الإرادة، مصممة على نيل الحرية لشعب سورية الواحد.

الطائفة، الأمة.

مصطفى الجرف

المحمولات الأخلاقية والأيديولوجية الكثيفة التي تغطي مفهومين متداولين بكثرة هذه الأيام كالطائفة والطائفية، مع ما تحدثه هذه المحمولات من تأثير نفسي قوي ينفّر منهما، تخفي تحتها الحقيقة السوسيولوجية والتاريخية للظاهرة المهمة اللتين يعبر عنهما هذان المفهومان.

إن النفور الأخلاقي الذي تثيره ظاهرة اجتماعية وسياسية من هذا النوع مفهوم ومشروع تماماً؛ من الطبيعي أن ينفر عامة الناس من الظواهر التي تقسم مجتمعهم، وتفشي بين الجماعات الأهلية مشاعر الكراهية، وقد تودي به، ربما، إلى حرب أهلية ضروس يمكن تنتهي إلى خرابه تماماً. ولكن إذا كان من الممكن التعاطف مع هذه المعاني الأخلاقية البسيطة وتفهم ضرورتها، فإن الأمر مختلف تماماً ومعقد للغاية مع المعاني الأيديولوجية. بشكل أساسي، تنتمي مصطلحات الطائفة والطائفية السياسية، كما تستعمل بكثرة في الأدبيات السياسية عندنا، لا إلى علم الاجتماع أو علم الاجتماع السياسي، ولا علم الأنثروبولوجيا، ولا أي «علم» إنساني آخر، بل تنتمي أساساً إلى الأيديولوجيا الحداثوية التي انتشرت لدينا بكثافة، وتبنّتها بنسخها المختلفة أغلب الأنتلجنسيا المحلية لدينا، واعتمدت عليها في تفسير الظواهر الاجتماعية. تنظر هذه الأيديولوجيا إلى مثل هذه الظواهر على أنها ظواهر تعبر عن التخلف الذي يشكل مفهوماً مركزياً في هذه الأيديولوجيا، وبحسبها تنتمي الطوائف، مثل القبائل والعشائر أيضاً، إلى العصور القديمة، عصور ما قبل الدولة الحديثة؛ وهي بذلك ظواهر خارجية لا تنتمي إلى المنطق الداخلي للحداثة، ولا يمكن فهم الطائفية مثلاً من خلال هذه الأيديولوجيا إلا بوصفها تلاعباً شريراً من الخارج بالغرائز البدائية اللاعقلانية لهذه الجماعات الأهلية القديمة المتخلفة. ومن خلال هذه الأيديولوجيا أيضاً يمكن اختصار الصراع الجاري في سوريا ببساطة، وبالاستناد إلى مفهوم الطائفية الذي يركّز على الاختلاف الديني المذهبي، على أنه مجرد امتداد (أو ارتداد) للصراع الديني القديم بين علي ومعاوية، تغذّيه وتشجعه وتموّله أطراف خارجية شريرة ذات أهداف مشبوهة. وهكذا يقاتل العلويون دفاعاً عن دينهم الذي لا يعرف معظمهم أي شيء عن أسراره الباطنية، أبناء السنّة الذين يخوضون جهاداً مقدساً من أجل أن يعيدوا العلويين إلى الدين الحنيف! أنا أرى بالعكس أن هذا صراع سياسي حديث تماماً، ويجب وصفه فقط بلغة الحداثة ومفاهيمها ومصطلحاتها، وأفضل عوضاً عن مفهوم الطائفة أن أستخدم مفهوم الجماعة الإثنية بحسب التعريف الذي يورده له عالما الاجتماع أنثوني سميث وإريك كاوفمان: «الإثنية هي مجموعة من السكان ذات اسم، وذات أساطير عن سلف مشترك، وذكريات وثقافة مشتركة. تجمّع من الناس لديهم وطن، ومشاعر من التضامن الاجتماعي». وبشكل مماثل فإن الفئات الإثنية هي: «جماعات لها (على ما يفترض) سلفٌ أو سلالة نسب مشتركة، ويرافقها دائماً تقريباً معانٍ عن وطن الأسلاف، وعلامات مميزة على شكل حاجز ثقافي». إن هذا المفهوم الذي يتجاوز التعريف الديني للطائفة، يعبر بشكل أفضل بكثير عن التمايز بين الجماعات، وعن كون منطقتنا مؤلفة فعلاً من «شعوب» متعددة، وليس مجرد طوائف دينية مختلفة، وإن كنت سأستمر في هذا المقال باستعمال مصطلح الطائفية، فإنني أستعمله دائماً بمعنى الإثنية حسب التعريف السابق.

الصراع الأهلي الجاري في سوريا ليس جديداً في المشرق العربي، ولكنه ليس قديماً أيضاً إلى الدرجة التي يراه فيها العقل الاستشراقي الغربي الذي استعيرت منه أيديولوجيا الحداثة. إنه ليس سمة جوهرية ثابتة لعلاقة جماعات شرقية قديمة، تتنازع فيما بينها منذ قرون عديدة بسبب خلافات عقائدية مريرة حول الطريق الصحيح الموصل إلى الجنة. وليس أيضاً علاقة ثأر أبدي بين قبيلتين تحملان تاريخاً طويلاً من الحقد الدفين والكراهية المشتركة. يوضح أسامة مقدسي في دراسته المهمة عن الحرب الأهلية في لبنان عام ١٨٦٠، وهي أول حرب طائفية كبيرة شهدها المشرق العربي، كيف أن تلك الحرب الوحشية التي دارت بين الموارنة والدروز في جبل لبنان، حدثت بعد تفكك وانهيار النظام السياسي التقليدي القديم الذي كان يقسم المجتمع المحلي إلى طبقتين محددتين من حيث المكانة والدور والوظيفة، ومنفصلتين عن بعضهما بعضاً بشكل كامل؛ طبقة الخاصة التي تملك السلطة السياسية والثقافية، وهي طبقة متماسكة متجانسة إلى حد كبير مع أنها مؤلفة من أفراد ينتمون إلى مذاهب دينية مختلفة. وطبقة «الجهّال»، أي طبقة العوام من الفلاحين والتجار والحرفيين المحكومين، الذين كانوا يعيشون طريقة حياة متشابهة تماماً، وسلماً واحداً من القيم الاجتماعية والأخلاقية، ويشتركون في الولاء لحكم طبقة الخاصة، رغم كونهم هم أيضاً ينتمون إلى مذاهب دينية مختلفة. بحسب هذه الدراسة، فإن ما سبّب فرز المجتمع المشترك إلى «طائفتين» متمايزتين بينهما حدود اجتماعية وسياسية قاطعة، هو دخول أفكار الحداثة الغربية، مثل المفهوم الحديث عن الأمة المتجانسة الموحدة، والمفهوم الحديث عن الدولة التي يجب أن تكون ممثّلة لهذه الأمة ومعبّرة عن إرادتها. هذه الأفكار التي دخلت إلى المشرق مع التغلغل الاستعماري الغربي في جسد الإمبراطورية العثمانية منذ القرن الثامن عشر، والذي فرض إرادته عليها عليه في منتصف القرن التاسع عشر، وأجبرها إعادة بناء الإمبراطورية بما ينسجم مع المفاهيم الغربية الحديثة ضمن خطة الإصلاح الشاملة التي عرفت بالتنظيمات. في هذا المشروع التحديثي الكبير، ومع وصول هذه الأفكار الجديدة إلى الشرائح الشعبية عن طريق البعثات التبشيرية خصوصاً، ومع اهتمام القنصليات الأوربية بتصنيف السكان المحليين وفرزهم إلى فئات لكل منها خصائص وصفات انثروبولوجية ثابتة؛ فئات تمّ النظر والتعامل معها كأقارب وأصدقاء، وفئات أخرى كغرباء وأعداء، حسب هذه الخصائص التي وضعها الأوروبيون مسبقاً، وبشكل متنوع بحسب المصالح المتضاربة بين الأوربيين المتنافسين على تقاسم الوراثة العثمانية. ضمن ذلك السياق الكبير كلّه، يمكن القول بأن الطائفة الدينية قد «تقمّصت» دور الأمة بمعنى من المعاني، وباتت تطمح إلى الاستيلاء وحدها على مشروع الدولة الحديثة الذي كان قيد التشكّل، وطرد الجماعات المختلفة من أرض ذلك المشروع الجديد، أو حتى إبادتهم، إذا لم يمكن إخضاعهم لإرادة الطائفة-الأمة بشكل كامل.

السياق السوري الحالي للصراع ليس مختلفاً في الجوهر عن السياق الذي سبق ذكره، والإطار النظري الذي تم عرضه باختصار هو الإطار الصالح باعتقادي لتكوين فهم صحيح له: إنه صراع سياسي حديث بشكل كامل للسيطرة على الدولة الحديثة التي انهار نظامها السياسي القديم، أو على أجزاء منها. في هذا الصراع تأخذ النخب المحلية للجماعات الإثنية دور الأحزاب السياسية الحديثة، وتتقمّص الجماعات الأهلية القديمة دور الأمة الحديثة. ويتم تحشيد العامة حول هذا الحزب أو ذاك، إما من أجل الانتصار للأمة المظلومة، أو من أجل الدفاع عن الأمة صاحبة الامتيازات، التي يهدد المظلومون بسحقها وإبادتها، أو بكل بساطة من أجل أن تكون لكل أمة من هذه الجماعات دولتها الخاصة التي تعبر عن إرادتها. إن كل ما يجري يحدث وفق المنطق العقلاني الصارم إلى حد قاتل للحداثة الغربية!

ثورتنا والطريق الى النصر

د.محمد حاج بكري

إلى من لا يزال ينبض في عروقهم دم الثورة وتتحرك في نفوسهم روحها، إلى من لا يزالوا يؤمنون أن دم الشهداء ما زال يطالب بحقه والأرواح الذكية التي أزهقها هذا النظام الفاشي الغادر لكل قيم الأديان السماوية ترفرف فوقنا وتسألنا أين انتم من الغاية التي قاتلنا من أجلها. أفيقوا لنسترد الروح التي نرجو أن تغير سوريا والعالم أجمع روح السوري الساعي إلى الحرية والكرامة والعدالة والمساواة لنحقق للشعب الذي وقف معنا وضحى بكل ما يملك لنستعيد له حقه وحقنا لنترك معاركنا وخلافاتنا الداخلية التي أصبحت القاسم المشترك للثوار من أجل خيارات وهمية وبسيطة، تعالوا لنقول جميعا لن ننسى ثورتنا ولن نغفل عن أهدافنا ولن نخون شهداءنا، ولن ننسى أعداءنا الحقيقيين الذين مازالوا محتفظين بقسم من رصيدهم ولن ننسى تحدياتنا الحقيقية في استكمال التغيير والتطهير والتحرير والبناء والتعمير وسنحدد هدفنا بحياة سورية حرة كريمة تنعم بالمساواة وتتجمل بالوطنية والإخاء والتكاتف فان معركتنا مع الأسد ورموز فساده واستبداده وحزبه لم تحقق هدفها بعد ومازلنا على الطريق ومهمتنا الأولى أن نقتلع جذورهم من أرض سوريا سياسيا واجتماعيا واقتصادياً وثقافياً

يجب أن نستفيد من أخطائنا، وان يتكاتف الشباب ويحملوا راية الثورة ليعبروا عن أحلامها مستعينين بحكمة الكبار المخلصين الأوفياء فان انقسامهم وتشرذمهم ودخولهم في صراعات وسجالات هو احد سيناريوهات التآكل

إن شبابنا اليوم يتكلمون بثلاثة ألسنة، اللسان الشخصي ومحبة الذات والأنانية واللسان الحزبي التقليدي ذي الأفق الضيق واللسان الثوري المشترك الضائع بين هويات متعددة متناسين أن عليهم أن يقدموا الهوية الثورية السورية على سائر الهويات المفرقة والمشتتة وإلا ضاعت الثورة.

حتى نقوم ثورتنا يجب أن نلتفت إلى سوريا وماهية سوريا وهوية سوريا وأهل سوريا ومكانة سوريا ومستقبل سوريا وتاريخ سوريا وخطاب سوريا ولغة سوريا وانتماء سوريا وانتمائنا لسوريا

إن الائتلاف والحكومة والمؤسسات والدستور والنظام السياسي والكتائب والألوية والقوى الفاعلة على الأرض هي جزء من كل، وطغيان الجزء على الكل هزيمة وخيبة أن الكل هو الدولة والمجتمع والداخل والخارج والسياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والهوية والتنمية ولم الشمل لا النزاع ومن كان قادرا على خوض معركة التجميع وان يكون الجميع للجميع فليتقدم وليحرسه الله والجميع

إن ثورتنا تشكو الشعب المنسي ووطننا سوريا الحبيبة تستغيث إنها الفتنة ماذا فعلتم بثورتنا لا تلوموا الثورة ولوموا أنفسكم أين المخرج وأين الحل وأين المستقبل كيف نصحح مسارنا ما هي البرامج والاستراتيجيات التي يمكننا ان نقوم بها لحماية هذه الثورة وتحقيق مطالبها وأهدافها وغاياتها وآمالها

لننطلق من حماية الوطن لان حماية الوطن هو الضرورة اللازمة لحماية هذه الثورة التي تعبر عن جيل جديد ومستقبل جديد لسوريا فالثورة قامت لتعبر عن كل المعاني التي تتعلق بكرامة الإنسان ومكانة الأوطان وقدرات الكيان على الحفاظ على هذه الثورة بكل ما تحمله من مسالك النهوض لهذا الوطن ولتحقيق كرامة الإنسان ومكانة المواطن

إن الثورة يا أهل سوريا تنادي على كل من وقف بالساحات والأحياء يعبر بالهتافات والشعارات ليرسم الطريق لمن سيأتي ويتصدر المشهد السياسي بخطة عمل واضحة هادفة تؤكد أن جامعية الناس في المظاهرات وميادين القتال هي من جعل الثورة تنتصر في المكان والزمان فقد حملها المواطن الإنسان الذي لم يعد يرضى إلا أن يكون كريما مكرما وقدم الغالي والنفيس في سبيل مستقبل أفضل وأمل فسيح ليحقق كل المعاني التي تتعلق بالوطن الجديد

إن ساحات المتظاهرين وثوارنا الأحرار يؤصلون معنى خريطة النهوض التي تمكننا من التعامل مع كل هذا الذي أصاب الثورة خلال ما يقارب الأربع سنوات لان مأزق الثورة وضعنا فيه النظام التسلطي قبل المعارضة والمعارضة قبل هذا النظام والأمر يستوجب منا ثلاث مسارات لنؤسس لعمل يحقق أهدافنا وطموحاتنا ففي البداية يجب أن يكون من هم في سلطة الثورة يملكون الاستراتيجيات وصياغة وصناعة السياسات واستثمار ساحة القرارات وصنع كل ما يترجم ذلك إلى وسائل واليات أي أنها السلطة التي تمتلك كل الساحات التي يمكن أن تستثمر في بناء بنية تحتية للوصول إلى تحقيق أهداف ومبادئ وأسس الثورة ضمن توافق واتفاق وتعاقد مجتمعي رصين ومكين وان نقدم رؤية جديدة للشعب السوري في عملية البناء المجتمعية والوطنية وان نستفيد من الخبرات والكفاءات الموجودة وليس المستورة والمجهولة الهوية في رسم صورة جديدة لبناء وطن واحد تجمعه مصالح واحدة وهذا ليس كلاما إنشائياً ولكن عندما تتوفر النية الصادقة والهمة العالية تجعل من حماية الثورة والوطن معا هدفا وغاية لابد ان نعمل لبلوغها يتحقق كل شيء من جهة أخرى يجب ضبط العلاقة بين السلطات التي قامت في الثورة والمؤسسات وتعزيز ارتباطها بأهل سوريا بالداخل المحرر ويجب أن تتحول إلى ممارسة فعلية في دنيا الناس وواقعهم ولعل الصراع المريب بين هذه المؤسسات والسلطات يدل على هشاشة القائمين عليها وعلى ان الثورة اكبر منهم بكثير بالإضافة إلى عدم إحساسهم بالمسؤولية الوطنية الملقاة على عاتق عمل هذه المؤسسات بحيث أضحى الأمر مدعاة للسخرية والتندر من قبل الشعب السوري فيجب العمل على تغيير واضح في بنيتها لتحقيق انتقال سياسي ومؤسسي ومجتمعي يعيد العمل لصالح الوطن فيحميه والثورة فيصونها بالإضافة إلى أنه يجب تفعيل وزارة العدل والجهاز القضائي وبداية يجب أن يحاسب كل من تلاعب بمصير الثورة سواء من الناحية السياسية أو العسكرية أو المادية والأشخاص حسب قناعتي الشخصية معروفين للقاصي والداني في الثورة السورية فإذا كانوا وطنيين ومخلصين فلا مانع من امتثالهم للقضاء حتى ينظر بأمرهم ويقدموا دفوعهم ويثبتوا براءتهم في حال كانوا أبرياء أمام الشعب ويكونوا قدوة ومثال يحتذى به في الامتثال للقانون لأنهم سيقدمون للقضاء آجلاً أم عاجلا وعلى سبيل المثال للحصر من وقف في وجه معارك الساحل وإضعاف هذه الجبهة مع أنها من أهم مفاتيح النصر بالثورة السورية

إن التغول في أي سلطة على أخرى مرفوض رفضا تاما وان مد ساحة العمل من جانب سلطات ليس لها أن تعمل في السياسة هو عمل مردود وكل في اختصاصه

الأمر الثالث أهمية المشاركة الشعبية والجماهيرية في إطار يحقق الفاعلية المطلوبة لتحقيق أهداف ومطالب الثورة وان إعادة ارتباط هذا الشعب بثورته عمل مجتمعي دائم ومستمر ويجب أن يشكل هدفا استراتيجيا هذا الشعب الذي احتضن الثورة لابد أن نستعيده لثورته ونستعيد ثورته له وان يكون حضور هذا الشعب في الأفعال والأقوال عمل جوهري واستراتيجي يشكل بشراكته عنوان فعاليته كامل هذه المسارات يجب ان يقوم بها من يعون أهداف الثورة ومطالبها وينشطون ويخلصون من اجلها فالثورة ليست ثورة الشعب بكامله ولكن ثورة الأحرار من شعب سوريا ومن ثم فأهل سوريا الذين أعنيهم هم أحرار هذا الشعب والمطالبون بالتغيير السياسي والحضاري لتحقيق أهداف الثورة وشتان بين المطالب والأهداف فالأهداف هي االحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية أما المطالب فهي إسقاط النظام وتبدأ أساساً من إسقاط النظام السياسي السابق بأركانه ورموزه التي تآكلت في ظلها قواعد وأسس النموذج الحضاري السوري ولكن يظل تحقيق أهداف الثورة يتطلب العمل أكثر من ذلك بكثير وان كان لابد وان يرتكن إليه أي يتطلب العمل لتغيير ما أضحت عليه منظومة قيم المجتمع السوري فمرور نصف قرن قد وسم هذه المنظومة بما لم يكن فيها وإذا كانت الثورة قد أحيت الأمل من جديد فانه مازال في سوريا مخزون حضاريا يكشف عن نفسه في لحظات التغيير الجذرية

لتحقيق ما ورد أعلاه نحذر من الاعتماد على بعض النخب الفكرية والسياسية التي مازالت أسيرة المنظومة التقليدية للسياسة الذي يركز على العلوي فقط بل وينطلق منه باعتباره ذي الأولوية ومنه تتحدد بقية الأمور فتتشكل دون النظر في ما يمكن أن يحدثه السفلي من انقلاب وما يصدر عنه من معوقات تجعل من هذا العلوي شكل بدون روح كذلك في الحديث العلوي هو حديث السلطة والقوة بمفهومها التقليدي أيضا كما أن بعض الناس يمارسون سلطتهم كما يريدون في ظل مناخ الحرية الطاغي الآن ناسية أو متناسية أو جاهلة أو غير واعية أن حرية بدون رادع أخلاقي هي فوضى وان عدم التمييز في المطالب بين ما هو آني وما هو آجل إنما يمثل انتهازية ونفعية ضيقة وان تحقيق المطالب يقتضي تنظيم الجماعات المختلفة مهنية وغيرها وتدعيمها وان لا تكون على حساب الثورة والمجتمع

الخلاص السوري وخيارات الحسم

نجيب أبو فخر

بعد أن آلت المعطيات في الحالة السوريّة إلى درجة من التعقيد التي يصعب معها الوصول إلى تصوّر واضح حول الكيفية التي قد تخرج فيها سوريا من واقعها الذي يتغير يوماً بعد يوم، أصبح الثبات على تصوّر واحد للنهاية يعتبر ضرباً من الوهم، أو حتى من الغباء، وخصوصاً مع وجود مشروعات كبيرة تتصارع بكل ما أوتيت من قوة لتضمن أن تُحسم كل الأمور لمصلحتها، أو بما يتناسب مع رؤيتها، الأمر الذي يقودنا إلى نوع من التصنيف لهذه المشروعات، حسب ماهيتها أولاً، ومن ثم حسب الجهات التي تقف وراءها ثانياً، وحسب فاعليتها على الأرض من حيث القدرة على إحداث تغيير واضح وحقيقي، ثالثاً.. وإذا كنا نتوخى الدقة فعلينا أن لا نغفل التفوق الذي تملكه المشروعات المسلحة التي تحظى بالدعم الدولي الأكبر، وليس المقصود بالدعم الدولي الأكبر هو توافق مجموعة دول على دعمه.. لأنه من الممكن لدولة واحدة أن تصب دعماً للجهة التي تساندها يعادل أضعاف ما يقدمه المجتمع الدولي برمته لباقي المشروعات.. ومثالنا هو الدعم الروسي لمشروع بقاء النظام مثلاً، بالشكل الذي يحفظ للروس مكانتهم المميزة على شاطئ المتوسط ضمن حالة الصراع الدولية على ما يسمى (الحزام الأوراسي)، وكذلك الدعم الإيراني للنظام بالطريقة التي تضمن المزيد من تمدد مشروع الهلال الشيعي له، وبالآلية التي تحفظ لإيران مكانتها ووزنها على طاولات التفاوض العالمية بما يتعلق بالملف النووي الخاص بالحلم الإيراني. ومع هذين المثالين نكون بشكل غير مباشر قد أبرزنا المشروع الأول (بقاء النظام) الذي يحتل الصدارة في العلاقات الدولية الممتدة بين إيران وروسيا والصين والعديد من الدول العربية ليطال كل منظومة دول البريكس التي تنظر للمسألة السورية أنها ملف اختباري هام لقدرتها على التعاون والتحدي في هذا العالم المُقدِم على إعادة تشكيل واضحة.

ومن هنا يمكننا التوصل إلى مسلّمة حقيقية مفادها أن المشاريع الأقوى المطروحة هي الناتجة عن تفاعل القوى الخارجية بالشكل المؤدي للمزيد من القدرة على التحكم بالتاريخ والمستقبل.. ولا تنطبق هذه المسلّمة أبداً على ما يسمى بـ(دول أصدقاء الشعب السوري) التي عقدت مؤتمراتها تحت راية نصرة الثورة.. لأنها كانت في هذا المسلك إنما تراعي مصالحها الدبلوماسية بامتلاك أوراق ضغط قابلة للبيع والمساومة في المجتمع الدولي، أكثر بكثير مما كانت تهتم لالتزامها المُعَنوَن بنصرة الشعب السوري، حيث لم تنفذ منه سوى ما يتعلق ببعض الالتزامات الإنسانية التي لا يمكن أن تساهم بتغيير موازين القوى على الأرض أبداً، إنما ينطبق فقط على القوى الدولية المؤثرة فعلا على الساحة.. فبينما يمكننا مباشرة وضع روسيا والصين وإيران مع الدول الداعمة لمشروع بقاء النظام ولكل المشاريع التي من شأنها تكريس بقائه.. يمكننا بالمقابل وضع الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا والسعودية وقطر بين الدول التي تدعم المشاريع التي وإن اختلفت دوافعها ورؤيتها ووسائلها، إلا أنها متفقة على وجوب إسقاط النظام الأمني المستبد في دمشق، ولا يمكننا هنا أن نغفل دور إسرائيل المتحكم الخفي بالكثير من الملفات المتشابكة في الشمال والجنوب، والتي تَستخدم نفوذها في الغالب لخلط الأوراق وإعادة اللعب مجدداً على قواعد جديدة تختلف عن سابقاتها في كل مرة .

وبينما فشل السوريون المرة تلو الأخرى في الاتفاق على مشروع دقيق موحد لمستقبل سوريا، وآثر كل سياسيي الثورة أن يتلطّوا خلف شعارات وعناوين فضفاضة ومبهمة وتحتمل الكثير من التأويل والتحريف، دون التكلف بالتعرض للتفاصيل أو الآليات التي من شأنها حشد المزيد من التأييد الشعبي لمشروع التغيير، ظهر في الساحة السورية مشروعات دينية (لا سورية) تحاول إلباس المستقبل السوري أثواباً لم تنسج في بيئتها، إلا أن موادها الأولية قد تكون متوفرة بكثرة فيها وفي كل مكان، ولأن هذه المشروعات بدأت في التسلل إلى الذهنية الشعبية السورية، وتمت إدارتها بعناية واهتمام، كان من السهل لها أن تتفوق وتأخذ الحيز الأكبر من التأثير على الأرض وخصوصاً في جو انعدام الثقة مع كل من فرضوا أنفسهم قياديين سياسيين على ظهر الثورة.. سواءً في المجلس الوطني أو في الائتلاف اللذين ورثا الفكر العاجز من ديناصورات إعلان دمشق. والقصة بدأت حين استحوذ الإخوان المسلمين على الدعم، وبدأت الجهات التي ادعت حرصها على تمويل الثورة، بربط الدعم بالاتجاه الديني للقوة الفاعلة.. فجنحوا بالثورة باتجاه الأسلمة، الأمر الذي تم تكريسه في كل مكان، وكان أول التصريح فيه حين أكد مؤتمر حزب الإصلاح الذي انعقد في غازي عينتاب في بدايات ٢٠١٢ بحضور أكثر من ٢٠٠ ناشط وقائد ميداني على (إسلامية الثورة) في بنده الأول من مقررات المؤتمر.. من هنا بدأت تخلع الثورة في سوريا ثوبها المدني وترتدي ثوبها الديني بأيدي أبناء سوريا الذين تحول معظم قادتهم من ممثلين لطلّاب الحرية إلى أطراف في الصراع على السلطة ضمن أجندات دولية مختلفة.

لم يكتب لإسلامية الثورة العمر الطويل، حيث انتقل الداعمون خلال نفس العام لرفع شعارات تنحو منحى (تسنين الثورة) بعد أن أعلن مجلس الإفتاء العالمي خلال اجتماعه في مصر تأييده للثورة في سوريا وإعلانه الجهاد المقدس على أرضها.. وكانت آنذاك جبهة النصرة هي الفصيل العسكري الوحيد الذي يقاتل لأجل الدين بشكل لا موارية فيه فيما كان حزب التحرير الذي أسس الجبهة الإسلامية الموحدة هو الوحيد الذي يعمل في السياسة في سبيل إنشاء دولة الخلافة على منهاج النبوة.. لكن بعد ذلك أصبحت الحماسة الدينية في أشدها وتكاثرت الفصائل الإسلامية السنية بشكل مضاعف واختلفت تبعياتها، وسرعان ما انعكس اختلاف التبعيات على أرض الواقع، حيث بدأت الخلافات العسكرية تقع بين الفصائل ذاتها التي تجاهر في العلن تأييدها المتطابق لمسيرة الحرية فيما تفضح خلافاتهم في السر الحقيقة النابعة من اختلافات الجهات الممولة لهم. لكن مع كل هذا لم يمنع أبداً استغلال جهات دولية كثيرة لهذا الظرف والعمل على تكريس بروز مشروع دولة الخلافة على منهاج النبوة كمشروع واضح المعالم ومتماسك وله شعبية واسعة ليطرح نفسه بديلاً عن النظام في دمشق، لا بل وعن كل الأنظمة في العالم الثالث وحتى ضمن كل الحزام الأوراسي، فوصلنا إلى مرحلة قد لا تكون نهائية، وهي دعوشة الثورة!!. الدولة الإسلامية في العراق والشام حظيت بدعم دولي كبير، وتكتم دولي أكبر، وكأنها كانت المشروع الوحيد المتوافق عليه دولياً، إذ يصعب على الإنسان البسيط تصديق عجز المجتمع الدولي عن تتبع ٣٠٠٠ سيارة داعشية مصنعة في مصنع عالمي معروف جداً بمقاس واحد ومواصفات (خاصة)!! هذا إذا لم ندخل بتساؤلاتنا نحو أدلة أخرى..!! ربما كان المجتمع الدولي بحاجة إلى رائز محدد ليحدث تغييرات جذرية

في خرائط المنطقة، لأن دور داعش فعلياً، لم يتعدَ كونها الذريعة التي تمرر عليها كل خيارات التفتيت للمنطقة برمتها على اعتبار من يؤيدها من جهة، ومن ليس لديه القدرة على تحملّها في الجهة المقابلة ..

عند هذا المفترق أعلن في كواليس السياسة وبإخراج إسرائيلي كامل عن مشروع تقسيم سوريا إلى سوريتين، سوريا الصغرى التي تضم سوريا الغربية بحدود من غربي إدلب إلى غربي حمص إلى دمشق مع كل منطقة الساحل السوري، وسوريا الكبرى التي تضم كل المناطق شرقي هذا التحديد، دون الخوض في مصير الجنوب السوري الذي يتنازعه اليوم النفوذ السعودي والإسرائيلي ولم يتقرر مصيره حسب هذه النظرية بشكل واضح أو بمعنى آخر.. لم تعلن النوايا تجاهه حتى الساعة. ومع أن هذا المشروع لم يلقَ اهتماماً إعلامياً كافياً، إلا أنه يلقى كل الاهتمام الميداني الذي تفضحه خرائط الأعمال العسكرية التي تحدث وكأنها فعلاً تجري ضمن خطوط ترسيم حدود منسجمة مع هذا المشروع ليس إلا..

في المقابل يطرح الأوربيون ويدعمهم الأمريكيون في هذا الطرح، مشروع تقسيم من نوع آخر، وهو التقسيم الديمغرافي.. أو الإثني.. بحيث تخرج علينا دولة كردية في الشمال تمتد حتى أقصى الشمال الشرقي، ودولة علوية تقريباً بنفس حدود سوريا الصغرى في المشروع السابق باستثناء دمشق لكن مع ضم جزء كبير من طرابلس اللبنانية، ودولة درزية في الجنوب تمتد من جنوب معبر التنف على الحدود العراقية لتشمل كل البادية ضمن حضن الحدود الأردنية، وتمتد غرباً من جنوب تل دكوة في ريف دمشق الجنوبي إلى ريف القنيطرة لتلاقي الجولان وتتعمق شمالاً باتجاه جبل لبنان في حين تمتد جنوباً من (الديرعلي) في ريف دمشق إلى غربي (بصرى الشام) في ريف درعا بخط مستقيم إلى حدود المملكة الأردنية التي ستقضم جزءاً من محافظة (درعا) وتضمه إليها في الترسيم الجديد.. وبين هذه الدول الثلاث الكردية والعلوية والدرزية تتمدد الدولة السنية التي يرى الأوربيون أن على سكانها حل خلافاتهم ضمنها على شكل الدولة القادم إن كانت دولة خلافة أو دولة اعتدال إسلامي أو غيرها دون القدرة على فرض ذلك على باقي المكونات السورية.. وفي حين تدعم السعودية أيضاً هذا الخيار، وتحاول جاهدة بسط نفوذها في الجنوب وحتى في الوسط الدرزي بواسطة أذرع لبنانية وعشائرية لها في المنطقة، تشاركها إسرائيل هذا السعي لكن بذريعة حقها في ضمان حدود آمنة، وفي هذا الإتجاه فإن إسرائيل اليوم تحرّك وتموّل كل الفصائل العسكرية التي ترابط على حدودها وبعمق لا يقل عن خمسة عشر كيلو متراً وقد يزيد عن الثلاثين كيلو متراً، لأنها الأكثر دراية أن أمنها لا ينتظر ما ستؤول إليه الأوضاع في سوريا ولا يمكن أن ينتظر اتفاق المجتمع الدولي، لذلك قررت أن تضمن لنفسها حدوداً آمنة وتضع عليها حرساً مطيعاً يحمل الولاء الذي صنعته واعتادته طيلة عقود من حكم نظام دمشق. ولأن الأتراك يعلمون علم اليقين أن أي مساس بوحدة سوريا سينعكس تشظياً وتفتيتاً لكامل دول المنطقة، ولأنهم يدركون في قرارة أنفسهم - وبناءً على معلومات أكيدة توفرت لهم - أن تركيا هي الهدف الرئيسي من تداعيات تقسيم سوريا، فإنها تقف اليوم وحيدة في مواجهة مشروع تقسيم سوريا، وهي تدرك أن تمدد دولة كردستان العراق لتشمل (كردستان سوريا) لا يعني إلا إنجاز الخطوتين الأوليتين اللتين تسبقان المطالبة بضم (كردستان تركيا) لهما في الوقت الذي يزيد عدد الأكراد في تركيا عن عشرين مليون نسمة من مجمل عدد سكانها، وتعرف أيضاً أن خطر نشوء دولة علوية في الجنوب الغربي سيحمل النتيجة ذاتها بسبب التداخل الديمغرافي بين علوي سوريا وعلوي تركيا التي تضم أكثر من ١٢ مليون علوي أيضاً معظمهم من العلويين الكرد.. إنها تعرف بدقة أن لعبة تقسيم سوريا إن أنجزت ستكون بمثابة انهيار حجر الدومينو الأول الذي سيؤدي لانهيار كامل المصفوفة وتفتيت كامل المنطقة، وفي مقدمتها تركيا صاحبة الحلم الكبير في أن تكون دولة عظمى في غضون سنوات، وتسعى لتفعيل المصالحات الداخلية ضمن هذا الأمل ، وتنتظر موعد انضمامها للاتحاد الأوربي في نهاية ٢٠١٥ كفرصة أخيرة تمنحها هي للأوربيين في تجميع الجهود، قبل أن تبدأ بتغيير استراتيجيتها التعاونية إلى الإستراتيجية التنافسية.. كل هذا سيتهاوى عند تركيا إذا ما تم تقسيم سوريا، لهذا سمحت للتقارب التركي الإيراني أن يحدث مؤخراً، وفتحت الباب للرئيس الروسي بوتين لمناقشة قضايا مصلحية تتعلق بحماية نفوذ كل منهما في المنطقة برمتها، وكان من ضمنها صيانة وحدة سوريا. ومع أن اللقاء مع الرئيس الروسي لم ينتج عنه الكثير، إلا أن التقارب الإيراني كان لمصلحة تركيا حين أعلن الوزير الإيراني رغبة أن تسير إيران وفقاً للتجربة التركية وفَتَحَ الباب واسعاً باتجاه التعاون معها في كل المجالات. وما يثبت أن تركيا جادة في مقاومة مشروع التقسيم هو ما قامت به بالأمس من قصف مكثف على مواقع عسكرية لحزب العمال الكردستاني الذي قال بأنه كان يعد العدة لمناصرة الأكراد في كوباني، لكن لم يكن خافياً على الأتراك ضرورة الربط بين الزيارات المكثفة للمسؤولين الأوربيين والأمريكيين للمناطق الكردية في شمال شرقي سوريا وبين التحرك العسكري المفاجيء - لكن المُراقَب - لحزب العمال الكردستاني في تركيا في ذات الإتجاه.

من كل ما سبق نستنتج أن ما يسمى بالمبادرة الروسية ليس إلا مسعى لتكريس خيارها في المشروع الأول، مع علم روسيا أن لا أحد من المدعوين أو من رافضي الدعوة، قادر على التحكم بقطعة سلاح واحدة على الأرض، لكن الروس يريدون من كل الأمر، ورقة ضغط لا أكثر قد تستخدم في زمن ما لنصرة مشروعها في المنطقة. ومن كل ما سبق نجد أن كل قصائد السياسيين السوريين والناشطين الذين ينادون بوحدة سوريا من وراء الحدود، لا ثقل لها إلا في ضمائر أنصار السلام الذين لا يؤمنون بالسلاح طريقاً للاستقرار، في الوقت الذي يستغل حملة السلاح تخاذل هؤلاء، ويرسمون بفوهات البنادق مستقبلاً سيفرضونه على الجميع، حسب ما تؤول إليه صراعات القوى الكبرى المتحكمة في المنطقة.. ومن كل ما سبق نجد أن مشروع الأمريكان في (اليوم التالي) ومشروع الأوربيين في (تحالف قرطبة) واستثمار الفرنسيين في (الديمقراطيين) ومشروع السعودية في توحيد كتائب الجنوب (المحاولة الثالثة عشرة) وغيرها من المشاريع الجادة شكلاً، قد لا يكتب لها التنفيذ على أرضِ واقعٍ لا يجمع بين هؤلاء جميعاً جغرافياً. وخصوصاً أن الجميع يعلم أن النظام في دمشق لا يزال يفكر في غرفة واحدة، ويمتلك القدرة على التنفيذ في كل أرجاء سوريا بنفس الطريقة والدقة ، بينما خذل أنصار الثورة ثورتهم وأصبحوا في كل حيّ من أحياء سوريا متنابذين متنافسين ومتصارعين على سلطة واهية لن تدوم لأحد في الزمن الذي تتقاطع فيه مصالح كل العالم في أن يُفني السوريون بعضهم بعضاً.

الرقة: من ثالوث استعمار إلى ثالوث مستعمرين

ياسين الحاج صالح

تكثفت في الرقة، أكثر من غيرها من المدن السورية، عناصر العلاقة الاستعمارية التي تقوم عليها الدولة الأسدية: عنصر السيطرة السياسية المبنية على الإكراه، وعنصر نهب الموارد العامة والخاصة، ثم التعالي والاحتقار شبه العنصري للسكان المحليين.

لا تسجل الرقة فرقاً عن غيرها من الأرجاء السورية بخصوص العنصر الأول. لا ريب أنها نالت نصيباً من التعنيف أيام حافظ الأسد أقل من حماه، أقل من حلب وإدلب أيضا. لكنها تشارك سورية كلها في المعاناة من عنف منتشر له خصيصتان: إنه فائض جدا عن أي ضرورات أمنية حاضرة، وذو طابع استباقي وترويعي موجه نحو تلقين المحكومين دروساً لا ينسونها، وتالياً ضمان احتلال المستقبل والتحكم به؛ ثم اقتران العنف بالكراهية والإذلال، وصفته المشخصة، أو تدني مستوى التجريد والقانون فيه.

العنف الأسدي ليس عقابياً، يستهدف أفعالاً مخلة بقواعد مقررة قام بها (الأفعال) أفراد، ويتناسب مع جسامة هذه الأفعال دون أن يمس الكرامة الإنسانية للمعاقبين، بل هو عنف انتقامي، يطال كيان المعنفين الجسدي والمعنوي، ويحرص على إهانتهم.

الرقة والجزيرة تتميز بأنها مواضع نهب منظم

لكن الرقة، ومنطقة الجزيرة ككل، تتميز عن مناطق سورية الأخرى بأنها موضع نهب منظم، وبأشكاله الأكثر بدائية. يأتي إلى المدينة ضباط مخابرات ومحافظون، ويخرجون منها بعد سنوات فاحشي الثراء. يستولون على أملاك عامة كانت «أممت» في حركة الإصلاح الزراعي في النصف الثاني من ستينات القرن العشرين، أو يشاركون أصحاب أملاك في محاصيلهم، أو يجرون أقنية مياه خاصة من بحيرة السد إلى أراض استأثروا بها، أو يزرعون البادية ببذار من غيرهم وحصاد على حساب غيرهم. بطلهم الأشهر هو محمد سلمان الذي حكم الرقة في ثمانينات القرن العشرين، وكان يطلق عليه لقب الوالي. وسع قصره على حساب ثانوية الرشيد، كبرى مدارس الرقة، وكان يعتقل بتهمة بعث العراق رفاقه البعثيين الذي لا يرضى عنهم، وفي ظله تحولت الرقة من مدينة تنمو إلى حطام مدينة، تتوسع في كل الاتجاهات بلا نظام، يتدهور كل شيء فيها. جرت ترقيته بعد ذلك إلى وزير إعلام.

لكن النهب أوسع من أن يقتصر على لص كبير واحد. أجهزة الأمن وشعبة التجنيد العامة هما بصورة خاصة مراكز نهب عام بدرجة تتناسب مع الطابع الإكراهي لهذين الجهازين. ومحصلة النهب طوال عقود الحكم الأسدي ليست إفقار المنطقة وتدهورها، بل «كرسحتها» وحطمت مجتمعها. تخلف الرقة والجزيرة مصنوع سياسياً، عبر هذه العلاقة الاستعمارية، وليس خصيصة ذاتية للمنطقة.

والعنصر الثالث في المركب الاستعماري هو التعالي على سكان المنطقة والتعامل معهم باحتقار. اشتهرت قبل أقل من ٤ أعوام عبارة تهديدية قالها ضابط من قوات حفظ النظام لتجمع أمام السفارة الليبية تضامناً مع ثورة الليبيين: تمشوا من هون، والا أفلت عليكم هالشوايا ياكلوكن (يأكلونكم)! يشغل الشوايا، وهو ما ينطبق على عموم سكان الرقة، موقعاً لا يضارعه موقع في النظرة السلبية والتحقيرية، أسهمت فيه صناعة الدراما التلفزيونية السورية أيضا. هناك مستويات من الممارسات العنصرية والتمييزية في سورية، تقع وطأة مضاعفة منها على الشوايا بوصفهم ريفيين بخاصة، ونسبة الفقر والأمية عالية في أوساطهم. وتستبطن قطاعات واسعة من الرقاويين هذه المشاعر السلبية تجاه النفس، فلا تطور ثقة مشتركة، وقلما يجري التعاون بين منحدرين من المنطقة في عمل مشترك. هذا ملمح نفسي اجتماعي عام في سورية، لكنه مكثف في الرقة أكثر من غيرها. وهو نصر مستمر للاستعمار الأسدي الذي اعتمد سياسة «فرق تسد» مثل كل استعمار.

الرقة من مدينة تنمو إلى حطام مدينة...

ومثلما هو الحال في المركب الاستعماري التقليدي، فإن في ازدراء السكان المحليين ما يبيح استغلالهم وتعنيفهم، وصولاً إلى القتل عند اللزوم.

وفي كل ذلك، في العنف والنهب الاستعماريين بخاصة، للنظام أعوان محليون من بعثيين وشيوخ عشائر ومتكسبين متنوعين. هذه نقطة أساسية. ما كان ممكناً للاستعمار الأسدي أن يحقق هذا القدر من التحكم بالمجتمع دون التمفصل مع أوضاع عشائرية، ودون التمهيد البعثي الذي ركبت عليه سلطة الاحتلال المخابراتي لاحقاً.

لكن فوق هذه الثالوث الاستعماري تشكل الرقة مساحة تقاطع ثالوث استعماري آخر، أو بالأحرى ثالوث مستعمر ين .

أول الثالوث هو المستعمر الأسدي نفسه الذي يواصل اليوم قصف المدينة بالطيران بصورة تذكر تماما بقصف إسرائيل مواقع سورية حتى عام ١٩٧٤ ، وقت أخذ الانتداب الأسدي يظهر انضباطاً لافتاً، لم تعرض مثله حتى مصر والأردن بعد عقدهما معاهدتي سلام مع إسرائيل. في واحدة من أكبر مجازر النظام، وقع يوم ٢٥ تشرين الثاني الماضي نحو ٢٢٠ شهيدا من السكان المدنيين إثر قصف الطيران الأسدي مواقع في المدينة.

في المقام الثاني هناك داعش التي هي استعمار استيطاني بكل معنى الكلمة، يستولي على الموارد العامة، ويعمل على التطهير العرقي وإعادة التشكيل الديمغرافي للمنطقة، بما يشمله ذلك أيضاً من استيلاء على الملكيات ومصادرة للمساكن وإسكان دواعش وافدين من شتى أصقاع العالم في بيوت السكان المحليين المنفيين، وذلك على النمط الإسرائيلي المعلوم. يعتمد الاستعمار الداعشي فائضاً من من العنف مثل النظام الأسدي، لكن مع صفة مشهدية للعنف الداعشي، ربما من باب التأسيس وإرساء مداميك هذا الكيان الاستعماري على إرهاب السكان وكسر عينهم. شيء يشبه في مفعوله المأمول «استقبال» السجناء الجدد بالتعذيب في سجن تدمر في عقدي القرن العشرين الأخيرين، وسجن صيدنايا في عهد بشار. يشبه أيضاً مجازر إسرائيل في سنوات التأسيس.

ويوزع كيان داعش السكان الواقعين تحت سلطته إلى ثلاثة طبقات: «المهاجرين»، ولهم السيادة والسلطة العليا، وهم يستأثرون بنفاذ امتيازي إلى الموارد العامة والخاصة، ويخصون أنفسهم بأفضل المساكن والخدمات والحمايات؛ ثم الأنصار، وهم الأتباع المحليون الذين يستخدمهم المستعمرون لتنفيذ مخططاتهم في السيطرة والتحكم بالعموم، ثم «عامة المسلمين» في القاع، الجمهرات التي تحكم وتنهب وتحتقر وتراقب وتعنف.

داعش استخدم الإسلام والنظام الاسدي استخدم العروبة ايديولوجيا..

أما غير المسلمين فمكانهم تحت القاع، عبيد أو ما في حكمهم. المسلمون غير السنيين يبادون ببساطة.

لا شيء من ذلك مختلف عن النسق الاستعماري الذي تشغله في الأعلى النخبة الاستعمارية، ثم المتعاونون معها من السكان المحليين للبلد المحتل، ثم عموم الشعب المستعمر.

وما سهل لاستعمار داعش أن يفرض سلطته في الرقة ما تحقق من تجويف سياسي ومعنوي واجتماعي للمجتمعات المحلية في المحافظة عبر عقود الحكم الأسدي، ثم التمفصل مع روابط العشيرة مثل الاستعمار الأسدي، وبالطبع استخدام الإسلام كإيديولوجية حكم مثلما استخدم النظام الأسدي العروبة.

وليس الإسلام غير مصدر للتبريرات الشرعية لهذا الصنف المتوحش من الاستعمار الذي يجرد السكان من دينهم، مثلما جردت «الرسالة التحضيرية» للمستعمرين الأوربيين سكان المستعمرات من القيمة باسم التقدم والحضارة. تقوم سلطة داعش على فصل متطرف للإسلام عن المسلمين، أو نزع ملكيتهم لدينهم، واستخدامه أداة للترهيب المادي والمعنوي للجماعة المحلية، وهذا مثلما امتلك المستعمر الأسدي العروبة والوطنية للتحكم بمصير السوريين ووضعهم في موضع المتهمين بقوميتهم ووطنيتهم.

غرض المستعمرين الدواعش تجريد المحكومين من الشرعية لمصلحة حاكميهم، وحرمانهم من أي بعد روحي في حياتهم الاجتماعية، فضلاً عن قطع روابطهم مع غيرها من المسلمين في العالم.

الطرف الثالث في ثالوث المستعمرين هو القوة الأمريكية وأتباعها الإقليميين والدوليين، وهم يواصلون منذ نحو ثلاثة شهور ونصف حملة على داعش تطال مواقع في الرقة بين حين وآخر، لكن يبدو أن خطتهم تستهدف أساساً طرد داعش من العراق، وحصرها في سورية، وذلك حماية للبترول في العراق وما وراء العراق، والحيلولة دون وقوع هذه الثروة في يد داعش.

العنف الأميركي لا يزال على درجة كبيرة نسبياً من التجريد، محصور باستخدام الطيران والصواريخ بعيدة المدى. لكن

يبدو أن الأميركيين الذين يعملون عملياً كقوة طيران للنظام الأسدي، يريدون تحويل ما بقي من الجيش الحر إلى قوة برية لحربهم ضد داعش، أو بناء قوة مرتزقة تتبع خطتهم في الحرب ضد الإرهاب، وربما بالتنسيق مع المستعمر الأسدي.

لكن نتائج التدبير الأميركي ليست مجردة أبدا. لقد هندست، وربما بتأثير إسرائيلي، تدمير البلد، ومحصلة سياستها هي تمديد الانتداب الأسدي وجعل سورية ساحة حرب لا تنتهي في مواجهة داعش التي يقول الأميركيون إنهم لا يستطيعون القضاء عليها، وغرضهم هو تحجيمها. التحجيم يعني العمل المستمر من أجل بناء قوى محلية تواجه داعش التي تبنى بدورها قوى محلية لمواجهة من يواجهونها، بينما يحافظ النظام الأسدي على سيطرته في مواقع تحكمه الحالية في البلد أو يوسعها بمقدار لمصلحة...

نتائج التدبير الامريكي هندست تدمير البلد..

إيران. وهي بدورها قوة توسعية شديدة القسوة، لا تخفي مطامحها التوسعية وإرادة تثبيت هذه المطامح بالقوة العسكرية والسيطرة الاقتصادية والتحويل المذهبي بقدر الإمكان.

كانت الرقة في غنى عن هذا الشرف المميت: مساحة تقطع ثلاثة استعمارات بعد أن كانت، طوال عقود، البؤرة التي تكثف فيها ثالوث الاستعمار الأسدي. لكن الواقع واقع، ويجعل التحرر عملا معضلا بالغ المشقة، لكنه يلُزم أيضا بالجذرية في مواجهة الشرط الاستعماري في كل تجلياته وأبعاده. جذرية التحرر العام، السياسي والاجتماعي والفكري والقيمي، بما في ذلك تحرر النساء وتحرر شرائح المجتمع الأشد فقراً.

الآن، وفي مواجهة ثلاثة مستعمرين، الثقافة ميدان الكفاح الأساسي، المعرفة والفن والجمال والأخلاقيات والحقوق. والسياسة وبناء القوى المؤثرة وكسب أصدقاء وتحييد أعداء وتسويات مرحلية... هي ميدان الكفاح الأنسب في مواجهة عدوين. لكن وقت حمل السلاح ومقاومة الاستعمار بالقوة آت من كل بد، وهو أجدى في مواجهة مستعمر واحد، وإن يكن شرعياً في كل وقت.

الصراع طويل، لكن بدايته اليوم، وإعداد جيل من الواقعين تحت الاحتلال ومن المهجرين من أجل التحرير واجب الآن وفي كل وقت. والمعركة سورية في كل أطوارها، والرقة جزء منها فحسب. ليس في النزعة المحلية الرقاوية، أو أي نزعة محلية، ما هو تحرري أو ثوري. وإن كانت مقاومة التمييز واجبة دوماً، فإن الانحصار في نطاق محلي إضعاف للنفس، وحرمان من جبهة شركاء أوسع في سورية كلها.

نقطة أول السطر

2015 عام الاحتواء

الشاوي الضليل

التفاهمات التركية الأمريكية، منحت تركيا مزايا جديدة، بوصفها أحد أبرز اللاعبين في المنطقة، وهذه التفاهمات أجبرت معظم اللاعبين على تقديم تنازلات، أو إعادة ترتيب أولويات سلم المصالح، بالإضافة للمزايا التي تحظى بها بوصفها تملك أوراقاً كثيرة ومؤثرة في الساحة السورية، إذ أثبتت أنها قادرة على اللعب بهذه الأوراق في الزمان والمكان الذي ترغب، مع احتفاظها بكامل لياقتها واستعدادها لمواجهة النتائج (كوباني، نبل والزهراء، كسب)، وتاركة لبعض مؤسساتها التي تبدو مستقلة اللعب في مساحات غير مراقبة، ما دامت تخدم ثوابتها الاستراتيجية، هذا على مستوى اللعب داخل سورية.

أما على مستوى الداخل التركي، استطاعت أن تجعل من معظم مواطنيها مساند وظهير لهذه السياسية، وإقناعه بأن القضية السورية هي شأن داخلي تركي، وأن أي تنازل تركي لصالح أجندات دولية أو إقليمية، عامل تهديد وتفكيك لوحدة الدولة التركية، لذلك أعطت الأوامر والتعليمات لمعظم مؤسساتها، لتكريس هذه القناعة، بعد الأحداث المؤسفة التي رافقت بداية معركة كوباني والاضطرابات التي نشأت في مدن تركية. ورافق ويرافق هذا المستوى، طغيان الحضور التركي على مستوى مؤسسات الثورة وتفريعاتها الأخرى، وهذا الحضور الطاغي تجلى في تسمية رئيس الائتلاف ورئيس الحكومة المؤقتة، وأن هذا الطغيان في الحضور، كان نتيجة لعمل منظم ودؤوب طوال أعوام الثورة التي كادت أن تنهي عامها الرابع، وهي الآن تعزز هذا الحضور، باعتمادها على آليات مطورة في سياسة احتواء لا تنفي من حساباتها أبسط الاحتمالات، من احتمال تفكك الائتلاف إلى كتله، إلى البدائل، وتوحيد مؤسساتها الخيرية العاملة في المجال الإنساني والإغاثي، وجعلها المرجعية لأي عمل على أراضيها وتحت رقابتها وإشرافها المباشر، ودعمها المباشر للتكوينات السياسية والتجمعات الاقتصادية الناشئة، وحتى منظمات المجتمع المدني (أحد شروط وجودها، وجود دولة ضامنة لاستقلال عملها) العاملة على أراضيها تتقدم تركيا كدولة راعية، وكبديل عن الدولة السورية التي لم يعد لها وجود.

إن القوانين والقرارات التنفيذية فيما يتعلق بتنظيم حياة «الضيوف السوريين» في الأراضي التركية، هي تعديلات للائحة التنفيذية لقانون اللاجئين التركي التي صدرت بعد الأيام الأولى لانطلاقة الثورة السورية ٢٠١١ والتي اعتبر فيها السوريون مجرد ضيوف في تركيا، والتي أفقدتهم الكثير من الحقوق التي يتمتع بها اللاجئ والمصانة في شرعة الامم المتحدة وحقوق الإنسان، وأنها «التعديلات» جاءت لسد هذه الثغرات، وأحد المداخل الفعالة لتكريس آليات الاحتواء، والتي تعطي نتائج ملموسة وفعالة تؤثر وبشكل مباشر على حياة السوريين في تركيا، وتنقلهم لمرتبة بين منزلتين (ضيف/ لاجئ)، وتعطيهم حقوق في العمل والتعلم والاجتماع والتنقل..الخ، وهذا التأثير يجعل من تركيا الراعي والمؤثر الفعّال لحركة السوريين فيها أو العابرين منها.

أعتقد أن نجاح استراتيجية الاحتواء التركي لأدوات اللعب في سورية، هو إدراك تركيا لمخاطر وصعوبات اللعب مع الكبار، ومواجهة خططهم البديلة لتحجيم هذا الاحتواء أو تحويله لمصاعب سياسية داخلية وأعباء على الاقتصاد التركي.

الجيش الثالث

عبد العظيم إسماعيل

(١)

الثلج, هذا المكوّن الطبيعي, كم له من معانٍ وصور وآثار في نفس الإنسان سواء على الصعيد الذاتي أو الجماعي! يضرب به المثل بالنقاء والطهر؛ من مأثور الدعاء «اللهمّ اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد». كما يذكّر المغترب بحنان الأم وعطفها: يا ثلجُ, قد ذكّرتني أمّيَ أيامَ تقضي الليل في همّي مشغوفةً تَحتارُ في ضمّي تحنو عليّ مخافةَ البردِ, ذكره يثير في نفس البعض الشعور بالبرد, فتراه يفرك يديه طلباً للدفء, وذكريات الموقد والمدفأة وأحاديث الشتاء, وهناك من يذكّره بالأوقات الحميمية التي لا تُنسى, واللعب والتقاذف بكراته المصاحبة بضحكات الفرح والأصوات العالية, وصنع التماثيل ووضع عليها ما يثير البهجة, والتقاط الصور التذكارية.. وأشياء أخرى كثيرة, كلها مصاحبة لقدوم هذا الضيف المُنتظر بشغف.

(٢)

أما على صعيد مختلف, وبالخصوص فيما يتعلّق بالغزوات والحروب, فهنا حديث آخر.. بالإضافة للجيشين المتحاربين, فالثلج يُعتبر جيشاً ثالثاً يحارب على كلا الجبهتين. فالطقس الشتوي بثلوجه وأمطاره وتدنّي درجات حرارته, يكون سبباً معيقاً لحركة الآليات والإمدادات بمختلف أنواعها, بالإضافة إلى كثرة الأعطال, أضف إليها تدنّي الروح المعنوية عند المتحاربين مما يؤثّر سلباً على الطرفين المتقاتلين. ومن الأمثلة التاريخية على ذلك: غزو نابليون لروسيا عام ١٨١٢م, والحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م, وغزو هتلر لروسيا بالعملية المُسماة (باربا روسا), عام ١٩٤٢م, وكل هذه الأحداث المهمة بالتاريخ, كان للطقس الشتوي, بالإضافة لعوامل أخرى الكلمة الفيصل.

(٣)

كما اتُّخذ من موسم الثلوج ألعاباً أولمبية شتوية برياضات تمارس على الثلج أو الجليد, بحدث رياضي عالمي يُقام كل أربع سنوات. وبالمقابل, هناك من يضرب به المثل ببرودة الأعصاب أو تجلّد الأحاسيس أو الشحوب الأقرب للموت. وفي الأمثال الشعبية يُقال: «غداً يذوب الثلج, وِيْبان المرج» لبيان الحقيقة.

(٤)

وفي هذه الأوقات المأساوية التي تمر على من شُرّد من بشر بمختلف الأعمار, من شُرد قهراً و قسراً من منزل كان آمناً بمختلف المقاييس, إلى ما يُسمّى ـ ظلماً ـ بمخيّم وهو أقرب للعراء, الذين يفترشون الثلج غصباً وليس حبّاً, ويلتحفون السماء مرغمين, لا عاشقين! وهذه الأم التي تسعى جاهدة باحتضان فلذات أكبادها في محاولة من أحضانها الباردة أصلاً لبثّ بعضاً من الدفء في أوصال شبه متجمّدة. وحتى الحيوان الذي مات واقفاً متجمداً. وصور سوريالية مرعبة لا حصر لها. كيف يُنظر للثلج عندهم؟ وماذا يقال للأخوّة المزعومة ـ عند البعض ـ التي اقتحمها الثلج وأصابها بالجمود؟ أصحاب الشعارات التي حشوا أدمغتنا بها صغاراً, وأُرغم الكبار كمداً على ترديدها لأسباب كثيرة, لكنها كانت كالثلج باردة لا حرارة فيها.

(٥)

هل يمحو الثلج آثار دماء الضحايا؟

إلى الرائع أردوغان

هناك... على قبة السماء
حيث يأتلق الأفق بالبنفسج والاقحوان...
تتجلى صفحة الغروب بالبهاء والأرجوان...
التي يسكب الإله عليها ألوان الدهشة..
هي صفحة اشتعال النور والنار
في موقد القدرة الإلهية..
فيها تتجلى الموهبة بحروفٍ ذهبية
صفحة يُشكلها الإله للمبدعين..
والمتأملين...
لينهلوا من ألوانها اشتعال قصائدهم...
هي الصفحة الأسمى التي يقرأها الإله قبل البشر...
يرى فيها المبدع ما لا يراه الآخرون...
ينقش عليها رؤاه بريشة الروح...
في غياب العقل وحضوره...
تَنْسَلُّ الروح من الجسد لتحلق في الأعالي...
تاركة الجسد يرتعش في اللا مكان...
كدوران مولانا (جلال الدين) حول الذات الإلهية...
على مهد تلك الصفحة..
تلد النطف رؤاها المستحيلة...
هناك.. تصغي لصهيل الخيول
التي عبرت هضاب التاريخ...
وتسمع صليل سيوف الفاتحين....
الذين طهروا البشرية من رجس الظلام...
على صفحات الغروب تلك...
تتجلى لك صور الأبطال....
الذين يبسمل التاريخ بهم صفحاته....
ليقرأها على مسامع الأجيال....
على هذه الصفحات....
رأيتُ الغيم ينقشع.....
ليكشفَ لي بكل وضوح...
عن فارس شهم فاقت بطولاته...
كلَ ذي راية... وصولجان
فاحتفى التأريخ بسجله العابق بكل أمان...
إنها صورة أردوغان.....
حاكمٌ تركيٌ سيشارُ إليه بالبنان
اتسع قلبه لاحتضان المشردين الجائعين...
وفتح لهم بوابات الحدود...
ليعبروها بسلام وأمان...
متحدياً بفأس قراره كل طغيان...
أيها السوريون...
امهروا صدور أطفالكم بصور أردوغان...
واجعلوها وشماً سومرياً يباهي النجوم والأقمار..
ومنارات على المرافئ والخلجان...
وعنونوا تمائمهم أنه أنقذهم...
حين عبروا الحدود هائمين..
بلا جوازات أو عنوان...
ليكتبوه قصائد حب وفخر وأمان...
حين يكبرون...
ويجسده بريشة الروح كل فنان...
ويعزفه على قيثارة الكون كل صوت شجي
بأعذب الألحان....
هو من شرع قلبه باتساع المدى والأكوان...
فغردوا له ملء حناجركم بالوفاء والامتنان...
هو خيمة الدفء التي امتدت من الحدود الى الحدود...
هو منهل الخير الذي تدفق وغمركم
بالعطف والماء والدواء والطعام....
هو قوس قزح الذي عبرتم تحت بهائه
سالمين ..مغردين ..كأسراب اليمام ...
هو دفقة الفجر النديّ على حقول الأنام..
وهو الذي تأبط كتاب الإله باليمين...
وكتاب الانسانية بالشمال...
أردوغان ..أصغى لكلام الله المقدس
حيث قال:
((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون))
فعمل ...ولبّى بخشوعٍ نداء الرحمن ..
أردوغان ....أنشودة مقدسة ...
تعزفها حناجر السوريين الفارين من الظلم والطغيان...
في كل زمان وكل مكان ...
وشمس تركيا التي أشرقت على العالم...
بالعدل ...والتطور ...والإيمان ...
يا صفحات الغروب ...
استرسلي ...وامتدي من أقاصي السماء
إلى شفاه الأرض...
اغمريني ..واغمري الكون بأبهى وأشجى الألوان ...
لأجدل من خيوطك الذهبية..
قصائد تصدح باسم أردوغان...
لتكون عناوين النشوة للهائمين على مر الزمان ...
إن كان (جلجامش) بطلاً اسطورياً ...
فأردوغان بطلاً ملحمياً حقيقياً
فاق الأساطير بعطاءٍ ....
يحارُ بوصفه الانسُ والجان ...
هو الزهرة التي تلدها تلال الثلج مرة
كل مئة عام .....
هو بصمة القرن المتفردة
حيث يلد التاريخ أبطاله ....
مرة واحدة كل قرنٍ من الزمان ...
ـ أتسألينا يا صفحة الغروب لماذا هذا البوح...؟
ـ لأنه ...رجبٌ ...وطيبٌ...أردوغان .

فوزية المرعي

MUHTEŞEM ERDOĞAN'A

Burada… Gök kubbede
Ufkun menekşe ve kasımpatılarla ışıldadığı
Günbatımının erguvanlarla parladığı
Allah'ın üzerine ihtişamın renklerini döktüğü
Ateş ve nurun şulelerinin vechidir o…….
İlahi kudret potasında…
Orada mevhibeler altın harflerle yazılır,
Allah'ın düşünürler ve sanatkarlar için yarattığı sayfaya…
Ta ki kasidelerinin ateşinin rengini oradan alsınlar diye…
O Allah'ın beşerden önce okuduğu en yüce sayfadır…
Sanatkar onda başkalarının göremediğini görür..
Oraya rüyasını ruh fırçasıyla nakşeder…
Aklın gıyabında veya huzurunda…
Ruh yücelere ulaşsın diye bedenden sıyrılır…
Mekansızlığa doğru dalgalansın diye terk eder cesedi
Mevlana (Celalettin Rumi) nın İlahi zatın çevresinde döndüğü gibi…
Bu sayfanın beşiğinde
Nutfe imkansız rüyasına doğar…
Burada. Atların kişnemeleri duyulur
Tarihin vadilerini geçen…
Ve fatihlerin kılıçlarının şakırdamaları duyulur
Beşeriyeti zulmün kirinden arındıran…
O Günbatımının sayfalarının üzerinde,
Kahramanların suretleri tecelli eder sana…
Nesillerin kulaklarına okunsun diye
Bu sayfalar…
Bulutları gördüm, toplaşıyorladı
Bana apaçık görünsün diye
Mert süvari ki kahramanlığı
Her sancaktarınki ve topuz sahibini aşmış….
Tarih, güvenle kutlar onun parlak sicilini
İşte Erdoğan'ın suretidir o….
O parmakla gösterilecek
Türk İdareci
Kalbi evsiz açları kucaklayacak denli geniş
Onlara sınırların kapılarını açan…
Oradan emniyet ve güven içinde geçsinler diye..
Tüm zalimlere iradesinin balyozuyla karşı duran …
Ey Suriyeliler …
Çocuklarınızın göğsünü
Erdoğan'ın resmiyle damgalayın…
yıldızların ve hilalin gurur duyacağı sümer dövmesi gibi..
Yuvalara ve meskenlere minareler diksinler
Mahyalar assınlar üzerinde onları kurtardığını yazan..
Sınırları geçtiklerinde pasaportsuz ve kimliksiz olarak
Ve tekbir getirdiklerinde…
Bu anı tüm sanatçılar ruhlarının fırçalarıyla somutlaştırır
Kainatın gitarında hoş melodilerle çalınır
Ve en güzel bestelerle…
O kalbini evrenleri alacak şekilde açandır
Hançelereniz vefa ve minnetle dolu olarak ona ses verin
O sıcacık bir çadırdır sınırdan sınıra uzanan
O sizi örten ve akıp duran bir hayır kaynağıdır
Şefkat, su, ilaç ve yemek dağıtan…
O parıltısı altından geçtiğiniz bir gök kuşağıdır
Güvenle… şakıyarak…
Güvercin sürüleri gibi
O tüm varlıkların üzerine doğan ılık bir fecirdir
Allah'ın kitabını sağ eline
İnsanlığın kitabını sol eline alan kişidir…
Erdoğan… Allah'ın mukaddes ayetine kulak verdi
"Deki çalışın, Allah, Resulü ve müminler yaptıklarınızı görecektir"
Çalıştı.. Ve Rahman'ın çağrısına huşuyla karşılık verdi
Erdoğan… Kutsal bir şarkıdır ki
Zulüm ve tuğyandan kurtulan Suriyeliler mırıldanır,
Her zaman ve her mekanda…
Cihanın üzerine doğan Türkiye güneşi
Adaletle… İlerlemeyle…
İmanla…
Ey günbatımının vecihleri…
Devam et… Ve semanın en uzak yerlerinden yayıl
Yeryüzünün dudaklarına…
En parlak ve ışıltılı renklerle ört beni ve kainatı
Ta ki öreyim o altın iplerinle
Erdoğan'ın adını terennüm edecek kasideyi..
Zaman geçse de üzerinden yolunu kaybetmişlere bir işaret olsun..
Gılgamış belki de efsanevi bir kahraman
Ama sebatkar ve hakiki bir kahramandır Erdoğan…
Mertliği ile aştı efsaneleri
Onu tanımlamakta tahayyür etmekte cin ve insan…
O kar tepelerinin doğurduğu bir çiçektir
Her yüz yılda bir çıkan..
Tarih kahramanlarını doğurur
Zamanın her yüz yıllık diliminde…
Ey gün batımı bana tüm bu bağırış ve haykırışların ne olduğunu mu soruyorsun?
O…Recep….Tayyip…..
Erdoğan'dır.

FUZYEA ALMARİE

قصة قصيرة

❖ سمير الفيل

تملكني الرعب والبيت يهتز، كانت الساعة تشير إلى السادسة وخمس دقائق صباحاً، إذ أن العقربين توقفا عن الدوران. ثبت نظري إلى السقف، فاكتشفت شرخاً بسيطاً، تساقطت منه أتربة قديمة، أما الجدار المواجه لي فقد بدا مختلفاً، إذ انحرفت الصورة المعلقة عن وضعها المألوف، فظهرت مائلة.

الكهرباء انقطعت لدقائق، ولما عادت فتحت الراديو، وسمعت المذيع يذكر إن الزلزال الذي ضرب المنطقة بقوة ٦ ريختر، مركزه منتصف البحر الأحمر، وإن الوضع آمن بوجه عام.

هرولت إلى النافذة، فوجدت أغلب الشبابيك قد فتحت ضلفها، وبان أصحابها منكوشي الشعر، يسألون عما حدث. النسوة هرول أغلبهن إلى الشوارع، أسفل البيوت خوفاً على حياتهن، الفتيات ظهرن بلا مساحيق تجميل، أو ملابس أنيقة تظهر جمالهن.

الرجال راحوا يصدرون تحذيراتهم للصبية والأطفال، ويأخذون بأيدي العجائز؛ لإخلاء الطوابق العليا تحسباً لتكرار الهزة، وانهيار الأسقف والجدران.

وحدي بقيت مسلماً أمري لله. لم يكن لدي أي رغبة في الفرار. الحقيقة إنني وجدتها فرصة للتخلص من حظي العاثر في الحياة. سوف أترك الدنيا الغادرة، ربما يكون نصيبي أوفر في حيوات قادمة. الشيء الذي حز في نفسي أنني تركت صورة أمي مائلة، جريت ناحيتها وأعدتها إلى وضعها الطبيعي.

أشرقت الدنيا بابتسامتها، دنت مني في امتنان، شعرت بنظرتها الطيبة تحتويني، تمسح عني عناء السنوات الماضية، أحسست بحنانها القديم يغطيني، فجثوت على ركبتي، مدت يدها، ومسحت شعر رأسي، ضحكت، وهي تعاتبني: شعرك أبيّض؟

رددت على الفور: الدنيا فعلت معي هذا.

لاحظت أن شعرها كان مختفياً خلف «قرطة» بيضاء، لا تظهر سوى مقاصيص فاحمة السواد، سألتني: أين زوجتك وأبناؤك؟؟

صمتّ للحظة، قلت باقتضاب: هجرتني «نسرين»، وأخذت معها الأولاد والبنات.

بانت الحسرة في صوتها، عاتبتني: ما زلت عصبياً، وعصبيتك تغطي على طيبتك.

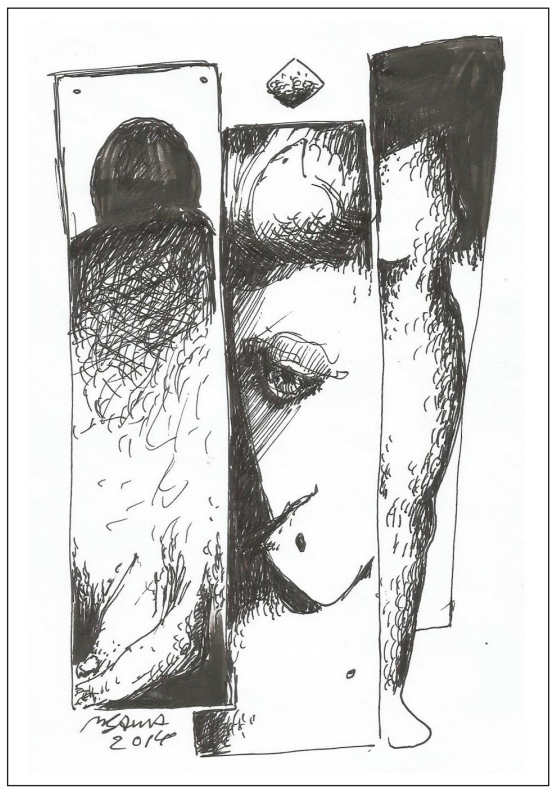

شردت قليلاً، وعادت للإطار بنفس نظرتها الطيبة، المصوبة بإحكام نحوي. نظرة تجمع الطيبة بالتوجس.

قبل أن ينقلوها لمستشفى الأمراض النفسية، ظلّت تصرخ، وهي تشير للجدار الذي تخرج منه كلاب مسعورة. كانت تبكي، وهي تسد أذنيها؛ لأن النباح يرعبها.

قال أبي وهو يدفع بها لعربة المستشفى: اطلعي، أسبوع أو أسبوعان وتعودين أحسن مما كنت.

ظلت لسنوات، وكلما زرناها ظلّت تنظر بحذر ناحية الجدران خلفها، تأمر أبي أن يطرد الكلاب قبل أن تهاجمها، وتعض جسمها، فيسيل الدم، ويغرق المكان.

اليوم الذي عادت فيه، كانت داخل تابوت، أعادت خالاتي غسلها، وشيع جثمانها من المسجد القريب بعد صلاة الظهر.

اللحظة التي اختلستها للنظر إليها، بان ازرقاق ما في وجهها، وكان شعرها الغزير قد غزاه الشيب، لكن نظرة رضا كانت تشيع في ملامحها.

هي الآن تسكن مطمئنة في الصورة، وأنا وحدي، بعد هجران زوجتي والأطفال. كنت بحاجة إلى زلزال ٦ ريختر؛ كي أتزلزل بالبكاء. ارتجفت، وكياني كله يهتز، ودموعي تنهمر؛ لأطلب منها أن تبقى معي بعض الوقت. سمعت صوتها الرقيق يهمس في أذني: تماسك، أنت زينة الرجال. فكرت أن ألقي بنفسي من النافذة. هذا الحل عملي وسريع، ويحل كثيراً من المشكلات المستعصية.

يدها قبضت على معصمي، وجدتها أقوى من كل الرجال الذين عرفتهم: اصعد فوق أحزانك، تماسك يا بني، تماسك.

مسحت خيط الدموع، وبقيت على حافة اليأس متردداً.

أخذت يدي، فكت أصابعي: «آدي البيضة، وآدي اللي سلقها، وآدي اللي حمرها، وآدي اللي أكلها، تاخد السكينة ولا المقص؟»

انتشيت بالضحك، وهي لم تمهلني، إذ أخذت وجهي بين كفيها، فشعرت براحة عميقة تسكن روحي، حدثتها بإصرار، لم أعهده في نفسي: سوف أعبر المحنة يا أمي!

❖ كاتب مصري

على أعمدةِ الغُرْبَة

حمزة رستناوي

فِيْ الغُربةِ أتقمَّصُ شخصَ رواياتٍ وحكاياتٍ منسيةْ

سأفوِّضُ أمْرِي وأكابدُ مجرىْ مَنْ سلكوا قبليْ.

مِن بعديَ, عادتكمْ بيعُ رقيقِ الدارِ وإقطاعُ مَـزاراتيْ.

حطَّمتُ أنوفَ تماثيلِ آلهةٍ

قطَّعتُ مآذنَ لمْ تشهقْ يوماً لحياتيْ

وبترتُ مذاكيرَ الآلهةِ المَنسيَّةْ

حرَّضتُ الشعبَ بلا غايةْ

أرسلتُ وراءَ السُّفنِ المعقورةِ عوديْ.

ألقيتُ القبضَ.. وأعدمتُ طِباعَ الدّيمقراطياتِ

على مشنقةِ الهُدنةْ

في مرحلةِ الإعدادِ ليومِ رحيلِ المَنسيينِ تنابذَ قلبيْ

وتذكّرتُ مُرِيْدَ الأنخابِ وسِجنهْ

أقوىْ رجلٍ في العالمِ أرسلَ في طلبي!

وتخيلّتُ مُلوكاً أطفالاً وتَحالفَ مَحظيّاتٍ

وأموراً لنْ تحدثَ

أو إمكانيَّةَ نصرٍ هاربْ!

هامتْ مَمْلكتيْ, وتركتُ لجوءاً يَفصلُ بينَ وبينيْ!

عاقرتُ تَحالفَ شَخْصَنَةٍ

وتركتُ المَحظيّاتِ على أعمدةِ الأذكارْ

يا ربَّ الدارِ أغثنيْ

وأعدنيْ ما دونَ الأهلِ إلى نافذةِ الروحِ

أعدنيْ شَتلاتٍ في صيغةِ أمٍّ لعمومِ الناسْ

جَنِّبنيْ وسواسَ الآلهةِ الخَنَّاسْ

ألقمنيْ ثديَ حفيفِ الجّنِّ إلى الأجداثْ.

أم وليد

نجاة عبد الصمد

زوجي طيّب. كان وعدني أن يدلّلني، ولم يلحق. خطفه المسلحون من مكان عمله في المخفر ليقايضوه بأسراهم أو بفديةٍ أثقل حتى من غيابه أو ــ لا سمح الله ــ موته. رئيسُه أخبرنا أنّ المخفر لن يستطيع فكاكه. وأعلن أخوه أنه لا يملك ما يفكّ به أخاه، وليس لديه لا الخبز ولا الطحين الكافي لقبيلة صغارنا. يا إلهي كم صرنا قساة!

لجأت ضرتي بأولادها إلى أهلها، وبعد يومين أعاد أهلها أولادها إلينا. جاؤوا جائعين، ولم يستقبلهم عمهم. على مضضٍ رضيتُ أن أسكنهم مع صغاري. يا إلهي كم صرنا قساة.

لم أكن خبرت تنظيف البيوت الثريّة من قبل. صرت أسافر كل يومٍ في هذا الطريق الطويل من الحسينية حيث نسكن تحت رحمة المسلحين، إلى جرمانا حيث سطوة النظام. أرتعب من حواجز المسلحين ومن حواجز النظام. ويلهج صدري بالصلاة كي لا يخطفني أحدهم فألقى أشنع من مصير زوجي، وأستقتل كي ترضى صاحبة البيت عن أدائي، وكي لا ترجف الصحون بين أصابعي وأنا أُنشفّها، وكي لا تسقط المزهريات الثمينة من يدي في شرودي، وكي لا يصدق وعيد حماتي، ولا تأكلني ألسنة جيراني حين أتأخّر عن البيت حتى المغيب: (ويعني شو عم تشتغلي بجرمانا، رئيسة بلدية أم رئيسة اتحاد نسائي...؟!).

يا إلهي كم صرنا قساة!

لا تصبر حماتي على شقاوة أبنائي في غيابي، تقول: اقعدي في بيتك يا فاجرة، والله كفيلٌ بأرزاقنا، أقول لابن زوجي عند الفجر: قم معي يا مازن، قم لنسري إلى أرزاقنا يا بني. ولا يفيق مازن. وتصيح حماتي: اتركيه ينام. وينتظرون كلهم عودتي من عملي ليأكلوا مما أجلب معي إلى البيت، وأطلب منهم أن يؤدّموا بالنعمة، وأعرف أنهم لا يشبعون، وأرى كم صرنا قساة.

لم يعد زوجي ولم يهدأ القصف فوق الحسينية، واحترق بيتي، وحملت أولادنا الثمانية إلى جرمانا الآمنة، أسكنتهم في محلّ عصيرٍ للفواكه هاجر أصحابه: واجهته متران، وطوله ثلاثة أمتار وخلفه حمامٌ ضيق، ومجلى صغير. أجرته ١٣٠٠٠ ليرة كل شهر، وأربعة آلاف ليرة للماء والكهرباء، وفوقها سبعة آلاف ليرة للسمسار الوكيل لهذا (البيت)، يستلمها مقدّماً ويتركنا على صقيع الأرض، بلا تدفئة وبلا بطانيات. يا إلهي كم صرنا قساة.

ــ يا الله ما أجمل عينيك يا أم وليد... تقاطعني صاحبة البيت التي أروي لها حكايتي!

يا إلهي ما أشد كرمك! يا إلهي؛ كثيرٌ هذا الفرح الآدميّ: «عيناي أنا، جميلتان؟!»

يا إلهي الآن يصير الأسى أقل، الآن ينبت النور في قلبي. الآن أسامح القساة كلهم، الآن دمعي أقل. الآن، حين أسمع بشراً يتغزّل بعينيّ!

أخيرا سمعتها من أحد ما، حتى لو كان امرأة! خمس وأربعون سنة، لم يقل لي زوجي ولا رجلٌ غريب: عيونك حلوين يا بنت.

آيةُ الروح..

ياسر الأطرش

يا آية الروح لا أحزانَ تكفيني

ولو جميع عيون الخَلق تبكيني

السرُّ في قبضتي، والحقُّ معتكفٌ

في غاية الظلِّ في طيّات تكويني

والشمس تلك التي تبدو.. مضلّلةً

فقد تخفّى سناها في شراييني

أنسلُّ مُنعتِقاً من نفحةٍ عبرتْ

ما فوق قدسية الزيتون والتينِ

من جبّتي تطلع الأقمار مبدرةً

وحين أغمضُ تمسي كالعراجينِ

أمشي على الأرض لكنْ ليس تحملني

فخطوة الضوء لا تمشي على الطينِ

مذ أن عبرتُ جدار الوقت، ما حفِلتْ

روحي بأيلولَ يمضي أو بتشرينِ

أنا وُلدتُ ككلّ الناس، لكن.. لا

أموت، حتى تموتَ الياءُ في السينِ

يا كلَّ مُنسدلٍ في الغيبِ من وجعي

لا تهبطنَّ على أشلاء مسكينِ

خلِّ السعادة للأطفال تغمرهمْ

وازرع بحقل عيوني كلَّ سكّينِ

سأستحيلُ مدىً للحزنِ، أنجمهُ

زُهْرٌ، ومنها رجومٌ للشياطينِ

أنا المدجج بالجناتِ، أزرعها

حتى أفيضَ قلوباً للبساتينِ

أمتصُّ كل خطايا الخلق في رئتي

وأزفر الحبَّ ممزوجاً بنسرينِ

وإذ أرى طفلةً في الصين حافيةً

يحفى فؤادي، كأني والد الصينِ

قوس قزح

هل الفن مسؤولية؟؟

فهد الحسن

يتساءل الكثيرون: إذا كان الفن حاجة اجتماعية ملحة في بناء الأفراد والمجتمعات.. فهل تصبح هذه الحاجة مسؤولة ومتلازمة مع توق الإنسان إلى جدار نفسي يغني أعماقه وينمي مهاراته ويفتح آفاقه على حقيقة الأشياء وجوهرها؟.

وهذا يقودنا إلى حاجات البشرية الأولى، فالإنسان البدائي احتاج الى النار لكي تدفئه، وليستنير بها وكذلك ليطهو عليها غذاءه. وقد تنامت هذه الاحتياجات وتنوعت إلى أن وصلت إلى مرحلة ما بعد الرفاهية في عالمنا المعاصر، أي تجاوزت دور الحاجة لتصب في خانة المتعة واللذة.

والفن لا يبتعد كثيراً عن هذا المفهوم، فسكان كهوف الكاميرا لجأوا إلى الرسم للاستدلال على معاني الأشياء بما يخدم حاجاتهم وبات ضرورة ملازمة للحياة وجزءاً من منظومة متكاملة تداخلت فيها البيولوجيا والانتربولوجيا والسيكولوجيا وعلم الطبيعة والتاريخ.

ومع تطور الحياة التي حرقت مراحل عمرها آلاف السنين، ومع ولوج العالم إلى عصور متعاقبة أهمها عصر النهضة الأوروبي في القرن السادس عشر وما تلاه من ثورات صناعية وطفرات في العلوم الإنسانية والتكنولوجية كان الفن فيها محوراً أساسياً وعموداً فقرياً لارتقاء الحضارات والتعبير عن مكنوناتها وصراعاتها وإفرازاتها.

ولعل القرن العشرين كان أهم المفاصل التاريخية في حياة الأمم من حيث وضوح الرؤية الفكرية فيه وتنوعها. وبالتالي احتدام الصراع بين مذاهبه وتوجهاته، وهذا لا ينفصل البتة عن الصراعات السياسية والفكرية المتناطحة أصلاً، والتي طفا صراعها على السطح، وباتت الأيديولوجيات هي المحرك الأساسي لها.

ونظراً لتماهي الإبداع مع الأيديولوجية كمسارين متلازمين، كانت ساحة الإبداع حلبة مفتوحة لتلاقح الأفكار والأساليب والتيارات الفنية التي تطورت آلياتها وطرز تعبيرها، وحدث تحولات كبيرة من حيث الرؤى الفكرية، فتحول دور اللوحة السائد في العصور الوسطى من تمجيد الكنيسة وتبني توجهاتها وبرامجها الظلامية إلى دور التغني بالطبيعة ومشاهدها المتنوعة، وكانت مرحلة (الباربيزون) هي الأكثر تألقاً وحضوراً، ثم تطورت الفنون ونحت منحى أكثر جدية والتصاقاً بهموم الناس ومعاناتهم، وتعاظم هذا الدور كثيراً وبات شعور الفنان أكثر وعياً في وجدانه وعقله.

وقد تحول دور اللوحة من الطابع التزييني والجمالي وفن الصالونات ومناجاة الجمال وتنميقه إلى فن مسؤول تعنيه الأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية وتصب في بوتقة إبداعه وفي صلب فكره.

ولعل من المفيد القول إن هذا الإحساس العالي بمسؤولية الفن وتأثيره قد شمل كل صنوف الإبداع، فتكامل الدور المناط به وكان لازدهار الأدب والموسيقى وسائر الفنون الأخرى دعم هذه النظرة وساهم في ظهور تيارات تثويرية خلاقة وضعت في حسبانها توق الشعوب إلى الحرية والمساواة، ورغبة الإنسان في نيل حقوقه المسلوبة، وصار للفن مسؤولية جسيمة في تبني هذه الرؤيا، وبات دوره أكثر حضوراً في صناعة فكر جديد أساسه الإنسان ومحوره أهدافه السامية في حياة حرة يغيب عنها القهر والاستلاب، ويحل محلها عالم نقي يمجد الإنسان ويسمو بتطلعاته.

ياسين الحاج صالح والصندوق الأسود

أسعد فخري

ما من مثقف استطاع أن يقدم نفسه إلى المشهدين السياسي والفكري السوريين وهو يحمل في رأسه صورة واضحة عن عقد اجتماعي يحقق للسوريين تحولاً حقيقياً نحو مجتمع تنظمه الحياة الحرة والكريمة، كما قدم نفسه المعارض السوري الهام ياسين الحاج صالح متقرياً دؤوباً يتفحص بإمعان حاذق التحولات التي مرت على سوريا منذ صعود البعث العتيد الى السلطة عام ١٩٦٣ وحتى يومنا هذا.

وبتقديرنا أن كتابه (سوريا من الظل ـ نظرات في داخل الصندوق الأسود ـ الصادر عام ٢٠١٠ بطبعته الأولى ـ جدار للنشر والتوزيع) هو إشارة هامة ومميزة في تناول المعادلة الصعبة في الشأن السوري المركب بطبيعته.

صحيح أن مجموع المقالات التي ضمها كتاب الصندوق الأسود ترجع إلى فترة سبقت الثورة السورية لكننا في العودة إليها ربما نستطيع معرفة وإدراك تقريات ياسين الحاج صالح والقبض على خيوط رؤيته التي كانت غير منفكة في تحرياتها لاستطلاع جملة من المسائل الهامة والجوهرية في مشهد الصراع السياسي السوري، والأبعاد التي مكنت النظام الدكتاتوري من البقاء في استقراره الآمن طوال نصف قرن من الزمان.

كما يبدو أن الكاتب أراد من جمع نثار مقالات متعددة التوجهات، والأهداف أن تكون معلماً تنظيرياً داخل سنوات العهد الجديد للأسد الابن وهو لم يدخر جهداً في ربطها مع سياقات حكم الأسد الأب واللذين اعتمدا في أجندتهما على مقولتين متقاربتين في السلوك والفعل (الحركة التصحيحية) سياق لحكم الأسد الأب و(التطوير والتحديث) سياق منتظم لحكم الأسد الابن حيث اصطلح «الحاج صالح» على تسميتها بسردية حكم آل الأسد في توارث السلطة والإمعان الشديد للتمسك بها وفق شعارات باهتة لم تقدم ما يحقق حضورها وفاعليتها خلال فترة حكميهما.

أجدني منحازاً إلى خيار ياسين الحاج صالح في قراره الجريء بالتفرغ وبصورة لا تقبل التردد في الاشتغال على الشأن الداخلي السوري على الرغم من إمكانات الكاتب المعرفية اللافتة وقدرته على تناول مجموعة من القضايا الهامة والمختلفة سياسياً وفكرياً، وهذا الإصرار والتمسك يعيد إلى الذهن مقولة رسول حمزاتوف الشهيرة ـ (العالم يبدأ من عتبة بيتي) ولربما يكون الدافع الأكثر أهمية في هذا الخصوص أن «الحاج صالح» أدرك مبكراً ضحالة وندرة ما يقال في شأن البلاد الداخلي نتيجة الأوضاع الأمنية القابضة على رقاب العباد، حيث لم يتشكل الكم التراكمي الانتقادي والتقويمي، وحسب قول الكاتب (لو كان لدينا تراكم كتابي نقدي بأقلام سوريين عن شؤون البلد السياسية والاجتماعية والثقافية. أما كان هذا ينتج لنا أفقاً أوسع في الكتابة والتفكير؟. كنا سنطور موقفاً نقدياً مزدوجاً حيال النظام وخرافاته، وكان من شأن ذلك أن يمكننا من تطوير سردية أكثر غنى وقابلية للتعميم) ص٩.

ذلك ما يجعلنا نلتفت إلى أبعاد أهمية نثار تلك المقالات التي ضمها كتاب الصندوق الأسود مثابرين على اكتشاف كنه متوالياتها المنتظمة في بعديها التاريخي والسياسي، فهي ترسم صورة الراهن السياسي مشفوعاً بروابط الانتماء والتوالد المستمد من الماضي العتيد للدكتاتور الأب، وذلك ما حقق لكتاب الصندوق الأسود حضوراً وأهمية بالغتين جعلتنا نتحصل منه على مفصلين أساسيين:

١ـ ادراك البعد المعرفي لعقلية الكاتب، وبالتالي ملامسة جوهر وآلية المنهج الفكري الذي استخدمه لتقديم العلاقات الداخلية السورية سياسياً واجتماعياً وثقافياً من خلال تشريح وتحليل مجموعة من الظواهر البارزة في المشهد السياسي السوري.

٢ـ معرفة مدى استشراف الكاتب وترجيح احتمالاته المختلفة، وانعكاسها على التطورات التي وصلت إليها الحالة السورية، في الوقت الذي لم نجد فيه صعوبة في اكتشاف الخلفيات السياسية التي أحكم اغلاقها بالتابوهات الأمنية، وأصبحت من المسلمات الكبرى للصندوق الأسود.

بتقديرنا أن فاعلية الأدوات الأولية التي استنهضت حالة التناول النقدي للمشهد السوري داخل الصندوق الأسود بمختلف أبعاده السياسية والاجتماعية وكانت عاملاً فاعلاً ومؤثراً في إبراز حقيقة ومصداقية التداخلات التي قدمها الكاتب على الرغم من حجم الوصف الهائل الذي استطرد في تناول التفاصيل السياسية السورية، لكنها كانت رصداً مكيناً لتبين حالة الانهيار الكارثي الذي وصلت إليه السلطة وغلامها الضلّيل (حزب البعث) وتقريراً حصيفاً لمحاولات العقلية الاستبدادية القلقة في إعادة الاعتبار لكيانها بأشكال مختلفة، ومواربة عبر إطلاق شعارات تجاوزت فيها حركة التصحيح إلى مرحلة جديدة أكثر زيفاً ومكراً من خلال التطوير والتحديث، لتبقى الأمور غائمة ومترددة مخلّفةً الويلات الكبرى التي أشار إليها الصندوق الأسود في أكثر من مكان ومفصل.

ضم كتاب الصندوق الأسود ما بين دفتيه أكثر من خمسة وعشرين مقالاً استهلت أصواتها بمقدمة لافتة بيّن من خلالها الكاتب حرصه الشديد على رصد المشهد السياسي بحذاقة، ودربة، ودراية حيث جاء ترتيب المقالات بالتتالي مقرونة بوقائعها الزمانية وبما يخدم الأفق الكارثي الذي رصدته.

في مقالته الأولى: (عقد مع سوريا) آثر الكاتب أن يوقع عقداً اجتماعياً مع سوريا مؤكداً رهانه الحذر على مرحلة التحديث والتطوير التي استكمل فيها الأسد الابن مرحلة أبيه بوجهها الآخر مؤكداً على (أن رهان المجتمعات الحية في عصرنا هو تحويل التغيير إلى مؤسسة اجتماعية ثابتة، مشكلة سوريا مشكلة سياسية وحلها بالسياسة ولا حل غير سياسي لها) ص١٤.

أما مقالته الثانية: (جدل الحضور والغياب) فإن الكاتب ينظر إلى تلك القضية من زاوية مختلفة، وقد تكون أحد أهم المسائل الاشكالية في تناول المشهد السياسي السوري، وهي غياب الأحزاب السياسية عن المشهد، وظهور المثقفين، والذين كانوا من أوائل المبادرين في الخروج على نظام الطاعة مقاربة مع صمتهم المعهود من خلال بياناتهم المتعددة التي كان آخرها بيان ربيع دمشق والذي تمكن النظام من القضاء على حراكه.

(لا توجد الأحزاب السياسية حين تُطرد السياسة من المجتمع كأنها روح شريرة) ص١٩.

في موضع آخر من المقالة يحدد الكاتب وبصورة لافتة حضور المثقفين السوريين (لعلنا ندرك إذن أن صدارة المثقفين تعود الى غياب الأحزاب السياسية) ص١٩.

أما مقالته الثالثة: (بعض جوانب إشكالية المجتمع المدني في سوريا) فإنها تعيد إلى الأذهان إشكالية الفهم القاصر للسلطة تجاه نمط التحولات التي تجري في المجتمع السوري وفق إجادتها الباذخة في استلاب الناس وقهرها إلى درجة الموات السياسي وتعطيل مقدراتهم (إن من يزرع الاستلاب واليأس يحصد الدمار سواء بانفجار قدري لا يبقي ولا يذر أم باستسلام قدري ليس أقل انتاجاً للخراب وهو درس جديد بنا أن لا ننساه وإلا حكم علينا أن نعيده، فالدمار العام الذي شهدنا نموذجاً عنه في سوريا بين ١٩٧٩ـ ١٩٨٢) ص٢٦ وهنا يشير الكاتب إلى صراع السلطة المسلح مع الإخوان المسلمين آنذاك.

أما مقالته الرابعة: (طبائع العمران وصناعة الواقع في الدولة الحزبية) فإنه يشير بوضوح وبأدوات منهجية صارمة إلى تقري الظواهر، والتحولات في المشهد السياسي مبيناً ماهية العلاقة بين السلطة وحزبها، مستنداً في ذلك على وثائق صادرة عن القيادة القطرية للحزب حيث أخضعها الكاتب للتحليل والربط كاشفاً عن جملة من المعادلات السياسية التي ترتهن إلى الرباط المقدس والمصيري بين السلطة وحزبها العتيد.

في مقالته الخامسة: (رياض سيف والاصلاح السياسي) يؤكد الكاتب أن عام ١٩٨٠ كان عام المؤشرات التي أظهرت بعداً جديداً في نشوء فساد مختلف هذه المرة (نشأ فساد من طراز جديد أكثر عرياً وفظاظة يتوسل الاستيلاء والانتزاع والخوات والأتاوات والنهب والغنيمة دون أن يتجرأ أحد على اعتراض سبيله) ص٤٢

أما ما أرادت قوله والاشارة إليه مقالته السادسة بعنوان (في السنة الحادية والأربعين) فهي جملة من القضايا الساخنة التي شابت تطور علاقة حزب البعث بسلطته، وهنا بيت القصيد الذي أراده الكاتب مفتاحاً لتناول قضية من هذا النوع ليحدد من خلالها حالة التعاضد الثرية بين الحزب وسلطته ويستجلي عبرها أبعاداً جديدة لمفهومي الحرية والاستقرار (ليس الاستقرار شيئاً لا قيمة له بالطبع، لكنه مختلف عن الحرية من حيث المبدأ، وقد كان عملياً ضدها فالاستقرار الذي خبرته سوريا خلال مرحلة ما بعد ١٩٧٠ هو استقرار جهازي وليس مؤسسياً ركيزته القوة وليس القانون والإدارة المشخصة، وليس القاعدة العامة المستقرة، ولذلك كان استقراراً لنظام الحكم وليس للمجتمع السوري) ص٥٥

من هنا ندرك أهمية الفصل بين مفهومين غير مؤتلفين في سياق المشهد السياسي السوري وندرك أيضاً أن ما يدعى بالجبهة الوطنية التقدمية التي كما يقول عنها الكاتب أنها كانت (جهاز الموت السياسي وليس الحياة السياسية وقد كانت على الدوام الغطاء الشرعي لنزاع سياسة الأحزاب المشاركة فيها وتعطيل أي دور عام مستقل لها) ص٥٥

أما مقالته السابعة (سوريا أمام المنعطف.. من هنا الى أين) فإنها ترصد حالة مهمة وغاية في الأهمية من خلال دعوة الكاتب للتخلص من أتون الأزمات المتتالية داخل المشهد السياسي حيث أن المطلوب هو (الخروج من المأزق بأعلى درجة من التماسك) ص٨٤ وذلك لتجاوز الأخطار التي لو حصلت لخلفت خراباً يعم الجميع.

في مقالتيه الثامنة والتاسعة: (العقد الاجتماعي البعثي وتناقضاته) و(سياسة العزل السياسي والجيلي) يتوقف الكاتب مطولاً عند العقد الاجتماعي ليستخلص مجموعة من القضايا الهامة التي تخص آلية حزب البعث وتركيبته العقائدية الملتبسة، وذلك للخروج من مأزقه التاريخي دون أن يدرك أنه كحزب وحالة عقائدية قد باع نفسه للسلطة الحاكمة دون أن يعلم أية كارثية حلت به من خلال بيعته الأبدية حيث تحول بعد شطب المادة الثامنة من الدستور حزباً لا يختلف كثيراً عن أي منظمة شعبية تابعة للسلطة.

أما سياسة العزل الاجتماعي فهي بتقديرنا لها من الأهمية ما لها حيث تحصّل الكاتب في تحليله اللافت ورصده الحاذق على نتيجة مفادها أن حالة التغييب التي مارستها السلطة في فترة سابقة تم تجاوز خطوطها الحمراء من خلال الاحتجاجات على الغاء تكفل الدولة باستيعاب خريجي كلية الهندسة داخل مؤسساتها مما أحدث حراكاً طلابياً مهماً في زمن كم الافواه من قبل السلطة الاستبدادية.

في المقالة العاشرة: (أخطاء تطبيق في الماضي وانتخابات حرة في المستقبل) يحقق الكاتب حضوراً استشرافياً مهماً حين يرصد التصريحات القلقة لرأس النظام بشار الأسد بما يخص مسألة جوهرية تستند الى مفصلين الأول أنه لم يتنكر لأخطاء وتجاوزات استخدمت عبر قانون الطوارئ في الماضي، أما المفصل الآخر فيما إذا كان الرئيس يقبل لو طلب منه التخلي عن منصبه، فرد الرئيس بالقول أنه يقدر يوماً سيأتي قد يتخلى فيه عن منصبه لكن عبر صندوق الاقتراع، وأنه سيكون مرتاحاً حيت لا يكون في قصر الشعب.

هنا يستشرف ياسين الحاج صالح ما وصلت إليه حال البلاد اليوم من خلال حذره الشديد من تلك التصريحات قائلاً: (ما الذي يضمن ألا يتكرر الاستخدام الخاطئ لحالة الطوارئ وأن يبقى الرئيس متمسكاً بمنصبه) ص٩٨.

أما مقالته الحادية عشر: (سنوات الأسد الثاني) فإن الكاتب يتقرى فيها مدى تَحكّم النظام السياسي بشروط وجوده التاريخي ملتفتاً إلى استذكار ربيع دمشق في الذكرى السنوية الاولى لاعتقال رياض سيف، وهو يؤكد (هنا انتهى ربيع دمشق، أقرب نقطة من الديمقراطية بلغتها سوريا منذ أزيد من ٤٢ عاماً) ص١٠٤.

في مقالته الثالثة عشر (قانون الأحزاب، وتحرير السياسة في سوريا) يرصد الكاتب إشكالية الدستور السوري وتفصيلاته التي جاءت حكراً على مقاس النظام، وما يخدم استبداده: (فالهدف الأول والأخير للمبدأ الدستوري هو حماية الحرية من عدوان السلطة) ص١٤٢.

لقد كانت مقالته الرابعة عشر (لخير هذا الوطن) عرضاً لبعض تجارب الكاتب الشخصية بما يخص حب الوطن وخدمته لكن من وجهة نظر الأجهزة الأمنية التي كان يُستدعى إليها مشيراً إلى أن تلك الأجهزة تحاول، وعلى الدوام الطلب إلى مخالفيهم بالرأي أن يتحولوا إلى مخبرين لصالحها تحت ما يدعى لخير هذا الوطن.

أما مقالتيه الخامسة عشر والسادسة عشر(على شرف حالة الطوارئ ـ ودستور السلطة الخالدة) فانهما أثريا المشهد السياسي وتفصيلاته عبر التقصي الحريف من الكاتب ورصده لحالة التردي والانهيار اللتين ستجلبان الويل للبلاد والعباد.

في مقالته السابعة عشر (سوريا حزب البعث ونظام الحزب الواحد) فقد استطاع الكاتب تكثيف جملة اشكاليات علاقة الحزب بالسلطة عبر افتراضه التالي: (يفترض أن يكون لحزب البعث مشكلات ذاتية وهو افتراض في غير محله . إذ ليس للحزب القائد للدولة والمجتمع مشكلات ذاتية لأنه ليس ذاتاً مستقلة ولا إرادة مستقلة ولا وعياً مستقلاً عن السلطة التي تحكم باسمه أو تستخدمه أداة لحكمها) ص١٥٣.

هنا ندرك بعداً إضافياً لتحليلية الكاتب عبر مقاليه الثامن عشر والتاسع عشر: (شعارات حرب في شوارع المدينة ـ وكلام عن هيبة الدولة) حيث يعرضان وصفاً مهما للمشهد المخابراتي والأمني داخل المشهد السياسي السوري، حيث يتبدى مشهد التشبيح والغلو ساطعاً من خلال الشعارات التي ترفع في المسيرات مما يدفع للغثيان.

من جديد يعود ياسين الحاج صالح وعبر مقالات ثلاثة: (حزب البعث أسير السلطة ـ مؤتمر حزب البعث العاشر ـ البعثية السورية) ليؤكد على ماهية الحزب وتحوله إلى عبء ثقيل على أكتاف السلطة وأجهزتها الأمنية.

في مقالته الثالثة والعشرين: (حقائق وزير الحقيقة البعثي) يتعرض فيها الكاتب إلى التلفيقات والاتهامات التي يشير بها إلى تحول مثقفي سوريا ممن ينشرون مقالاتهم في صحف ومجلات خارج البلاد إلى عملاء ومأجورين.

أما مقالته الرابعة والعشرون (سياسة الفرط والبعثرة) فهي تأكيد جديد من الكاتب على المشهد القمعي الذي يُمارس على نشطاء ومثقفي سوريا.

بما يخص تسمية الأشياء بغير أسمائها فقد خصها الكاتب بمقاليه الأخيرين (تسمية الأشياء بغير أسمائها ـ وفحص الضمير الوطني) لنستخلص منها قضية هامة حسب مقولة الكاتب البارعة في عملية التعاضد المركب بين الإعلام والجهات الأمنية: (وظيفة الأول هي تسمية الأشياء بغير أسمائها ووظيفة الثاني منع تسمية الأشياء بأسمائها) ص٢٢١. أما يخص الضمير الوطني السوري فإن الكاتب يذهب في الظن إلى أن البلاد (إذا انفتحت آفاقها على المجهول ووجد حزب البعث نفسه في المجتمع لا في السلطة ـ ما نسبة أعضاء الحزب الذين سيبقون بعثيين وكم هم الذين سيلتحقون بروابطهم الأهلية أو يتركز جهدهم على استعادة امتيازات جائرة ونفوذ غير شرعي واستثناءات غير قانونية) ص٢٢٨

ذلك هو اللافت والمهم في تقريات ياسين الحاج صالح وكأنه كان يستشرف ما يجري اليوم بعد قيام الثورة السورية وما حل بها من ويلات.

من هنا نقول: إن ياسين الحاج صالح قد أكد حضوره السياسي المدهش قبل الثورة وبعدها مخالفاً مقولة الشاعر الكبير محمود درويش حين يقول (يحاصرني واقع لا أجيد قراءته) مؤكداً ذلك عبر استطاعته فك مغاليق الصندوق الأسود لنظام مستبد وهو يقول: يحاصرني واقع أجدت قراءته.

بداية الرحلة
2

ابتسام إبراهيم تريسي

... لم يكن صعباً على أبي وحيد أن يدرك أنّي جادة في العودة لأنّه خالف الشرط في أن أكون وحدي معه في سيارته التي ستقلني إلى تركيا.. فقد دفعت للوسيط سبعة آلاف ليرة أجرة الرحلة كي لا يكون فيها ركّاب غيري!

وكان واضحاً من ردّه أنّه غير جاد في إعادتي إلى البيت! وقد سارع لإرضائي بالجلوس في المقعد الأمامي، وفتح النافذة لأني أتضايق من التدخين.. ولم أكن في تلك اللحظة التي أبديت فيها ضيقاً مضاعفاً من رفقة خمسة شباب احتلوا المقاعد الخلفية في سيارة «السرفيس» أعلم أنّ برفقتي خمسة من شباب الجيش الحر! حرصوا في البداية على إضفاء جوّ من المرح بتبادل بعض المزاح حول زوجاتهم أو ملاحظات عابرة حول النساء وحكمهن الذي لا يقارن بحكم الديكتاتور!

انطلقنا من قرية **كورين** في التاسعة والربع صباحاً في جوّ يميل إلى البرودة بعد ليلة عاصفة أغرق المطر خلالها الحقول، وترك مياهه في حفر واسعة دلالة على استمرارية وجوده، وكانت أوراق الكرز الصفراء ودوالي العنب قد تساقطت في معركة قاسية مع الرياح ليلاً، وملأت الطرقات المسفلتة، محمّلة بطين تركته أقدام الرعاة والفلاحين القاصدين بساتين الزيتون الذي بقي صامداً بخضرته العجيبة تنضح زيتاً مضيئاً.

الطريق الزراعي الضيّق اتّسع بنسمات خريف عابقة بزخات مطر صباحي، لوّنت وجه الحقول بحميمية يعرفها الذاهبون إلى قطاف الزيتون فيتهيؤون لها بملابس سميكة صارخة الألوان تحاكي ربيعاً لا يفارق تلك المناطق بدليل العشب النامي على أطراف الحقول!

من كورين إلى وسط المسطومة قطع «أبو وحيد» الطريق الرئيس بلا مبالاة إلى شارع فرعي.. غير عابئ بحواجز الجيش السابقة واللاحقة!

سرمين كانت نائمة على وجع في الوقت الذي عبرنا فيه من أراضيها في طريقنا إلى سهول فسيحة باغتني فيها منظر لم أره منذ عشرات السنين.. حقول واسعة مزروعة بالقطن!.. القطن..! مرّ زمن طويل على اندثاره ورحيله عن مزارع حلب.. حلب التي اشتهرت بمهرجان القطن السنوي الذي كانت تنتخب فيه أجمل فتياتها ملكة جمال القطن.. ملكة على البياض بكلّ تجلياته ونقائه وصفائه. القطن! مرّة أخرى يغازل عينيّ بعد طول غياب.. مزارع امتدّ فيها الأخضر حاضناً زهرات زاهية البياض تعدّ بدفء قادم!..

إنّها **بنّش**.. وصلناها في وقت قصير.. أبو وحيد أبدى ملاحظة تدل على أنّه غير راضٍ عن أداء أهل المدينة.. على ذمته أنّ أهلها قد دبّروا أمورهم مع الجيش، يخرجون في مظاهرات والجيش يتجنب قصفهم.. أراني المدينة، وقال: «انظري لا يوجد أثار للدمار».

لهجة «أبو وحيد» كانت تحتمل التأويل على وجهين فهو لم يُبدِ لوماً واضحاً، لكنّه لم يُظهر ارتياحه لمحافظة المدينة على سلميتها، فربما رأى في السلمية في هذا التوقيت حياداً غير محبب وابتعاداً عن الثورة!

حين وصلنا «**تفتناز**» بدا واضحاً أنّ أبا وحيد يفتخر بالكم الكبير لآثار الدمار، والخسائر التي كبّدها الثوار لجيش الديكتاتور.. لم يكن أحد من الثوار أو أفراد الجيش الحر، يأبه لكون تلك الأموال التي تهدر في القصف هي أموال الشعب فهم الآن داخل المعركة، ما يعنيهم فقط إسقاط الديكتاتور، وثقتهم بمقدرتهم على إسقاط كلّ شيء بعده! واستعادة الوطن معافى بتضميد جراحه وبنائه من جديد.

الشباب تندروا كثيراً بأمر حصولي على جرعة ماء، فقد عطشت، ولم يجدوا في تلك المدن بقالية نستطيع الحصول منها على كأس ماء! كانوا يعدونني بالحصول عليه من «الدانا» وكنت أظنّهم يمزحون، فلأهل الدانا قصة يعرفها السوريون جميعاً، وهي أنّ ضيوفاً حلّوا بالبلدة، وأنّ المختار طلب من أهلها أن يُحضر كلّ واحد منهم للضيوف ما تيسر له من بيته. وأنّ أهل الدانا جميعاً _لبخلهم_ حين وصلوا إلى بيوتهم، احتاروا فيما سيأخذونه، وفكّر كلّ منهم أنّ جاره سيأخذ طعاماً، وينسى الماء! وعندما وصلوا بيت المختار اكتشفوا أنّ أحداً لم يحضر طعاماً، وامتلأ البيت بقدور الماء!

ليست طرفة في الحقيقة، فحين وصلنا «الدانا» استطعنا الحصول على زجاجة كاملة!.

كلي، حزانو.. وقرىً أخرى.. لم أكن أسمع باسمها قبل الثورة، ولا أعرف أنّها تقع في محافظة إدلب!

بعد أن غادرنا **سرمدا**، وسرنا على الطريق الرئيس المحرر، رأيت آثار المعارك، معارك التحرير التي قام بها أبطال الجيش الحر لتحرير المعبر والسيطرة عليه. لم يكن كلّ ما رأيته مفاجئاً، فقد سبق ورأيته في التلفزيون. ما فاجئني حقّا حديث «أبو وحيد» عن قرية لم تكن على طريقنا، لكنّه وعدني أن يأخذني إليها في المستقبل إن وجدت الوقت «آطمة» _التي لم أسمع بها من قبل_ قرية على الحدود فيها الكثير من النازحين الذين يرفضون دخول الأراضي التركية، ويرفضون العودة إلى منازلهم لأنهم _على ذمة أبي وحيد_ مستفيدون من المعونات التي تصلهم من الجيش الحر في الطرف التركي! لم أكن أحبّ أن أسمع ما يخدش تصوراتي عن الثورة وأهلها، لكنّ أبا وحيد أبى إلاّ أن يشوّه الصورة التي في ذهني بحجة قول الحقيقة!

الممتع في حديث مرافقي، أنّه فاجأني قبل وصولنا إلى نقطة الحدود التركية بحديث غاية في الأهمية عن إبراهيم هنانو! الثائر الذي بحثت في حياته وكتبت عنه في روايتي جبل السماق.. فوجئت أنّي لم أكن أعرف عنه كلّ شيء، ربما لم أعرف إلا شذرات عن حياته..

أشار أبو وحيد إلى جبال على يسارنا، وقال لي: هنا «المشنقة» قضيت في هذا المكان عشرين يوماً بعد عودتي من لبنان، كنت خائفاً من الاعتقال، ولم أتّخذ قراري بعد بالانضمام إلى الثورة.. جئت إلى هنا تيمناً بإبراهيم هنانو، لذت به من مخاوفي.. الزعيم كان يجلس هنا أثناء الثورة أياماً تطول أو تقصر بحسب القضايا المعروضة عليه للحكم فيها، كان قائد الثورة وقاضيها. هنا نصب مشنقته.. هنا كان ينفّذ حكم الإعدام بالخونة والجواسيس الذين يسيئون للثورة.. لو كان لديك الوقت لأخذتك إلى المكان..

شباب الجيش الحر عند المعبر رفضوا أن يدخل الشباب المرافقون لي إلى الجانب التركي لأنّهم لا يحملون البطاقة المدنية! _على الرغم من أنّنا أخبرناهم أنّهم منشقون، ولا يوجد معهم «هويات» وليس «هوايا» كما يجمعها جميع أفراد الجيش على الحواجز النظامي والحر!_ وأنزلوهم في ضيافتهم.

ضباط الأمن الأتراك، لم يسمحوا لأبي وحيد بإيصالي إلى المعبر، فركبت سيارة تركية عبرت بي إلى الجانب الآخر من الحدود، وهناك اكتشفت أن أبا وحيد وضع في السيارة حقائب إضافية ليست لي! بعد ساعات من وصولي إلى الريحانية، جاء شاب يطلب الحقائب.. ثمّ مرّ شباب الجيش الحر، وشكروني على تمرير حقائبهم معي!

فتوى القتل:

حول بشاعة القتل من الطرفين هذا ما تحدثت عنه مع الشباب في الطريق إلى تركيا. لا أستطيع تسميتهم بأسماء وهمية ولا أريد أن أذكرهم كأرقام فقد كانوا يحملون عيوناً تضج بالحياة والإيمان بعدالة القضية التي يدافعون عنها مما يجعلهم أكثر ثباتاً ورسوخاً في الذاكرة من مجرد اسم أو رقم! أحدهم كان ضابط مخابرات في الأمن العسكري، انشق منذ خمسة أشهر، كان مصراً في حديثه على عدم التسامح مع الطرف الآخر أثناء المعارك، فهو إمّا قاتل أو مقتول، ولا مجال إطلاقاً للأسر أو التفكير فيه، الأسرى برأيه عبء على المقاتلين، بالإضافة إلى احتمال حدوث خيانة. وكان يردف دائماً حديثه بعبارة «أنا رأيت، كنت بينهم، وأعرف كيف يتعاملون مع الناس». لان قليلاً حين قلت له «قد لا يتسنى للشاب الذي قتلته للتوّ أن ينشق كما فعلت أنت، فالرشاش موجّه إلى ظهره.. إن لم ينفذ الأوامر يُقتل.. وليس كلّ الناس على سوية واحدة من الشجاعة كما ليس كلّ الناس على سوية واحدة من التفكير.. يعني أنا لا أستطيع أن أتقبّل أن تقتل شخصاً رفع يديه وقال لك: «أنا أستسلم، أنا منشق».. والله قلبي يتفطّر على هؤلاء

قال لي: «يا خالتي إن لم أقتله قتلني.. لا مجال للعواطف في المعركة، إن أردنا النصر علينا التخلص من إنسانيتنا».

قلت: إن أردت النصر عليك أن تكون إنساناً بالدرجة الأولى.

قال: إنساناً مغفلاً أترك الفرصة لعدوي كي يقتلني.

قلت: هل شققت صدره لتعرف أنّه كاذب؟

قال: لا أستطيع إئتمانه على روحي، حوادث كثيرة صارت معنا.. بعد إعطائنا الأمان لبعض الجنود غدروا بنا!

تدخل أبو وحيد قائلاً: «هل تعرفين صقر الجبل؟ لقد قتل لوحده في معركة هنا قرب تفتناز خمسة عشر ضابطاً وعسكرياً، وقتله جندي تظاهر بالموت، جندي صغير من دون رتبة.. عسكري يقوم بخدمته الإلزامية.. أنت تقولين «إنّنا لا يجب أن نقتل هؤلاء العساكر، فهم مجبورون» ما رأيك إذن أن نتركهم ليقتلوا قياديي جيشنا؟ هناك شخص آخر تركناه ينفد بروحه، بعد ربع ساعة فقط وصل خلالها إلى قطعته، وأخبر عنا، فقصفوا المكان.. لا يمكننا أثناء المعركة أن نقوم _كما تطلبين_ بمقاضاة ومحاكمة الجنود لنعرف من سنقتل ومن سنبقي، ثمّ إنّك قلتِ «هل شققت صدره؟» يا أختي نحن لم نشقّ صدره، ولا علم لنا بما خفي في النفوس، العلم عند الله، لكنّنا بعد سنة وسبعة أشهر من الثورة لا يمكننا _وهذا القتل والعنف من حولنا وهذه الوحشية

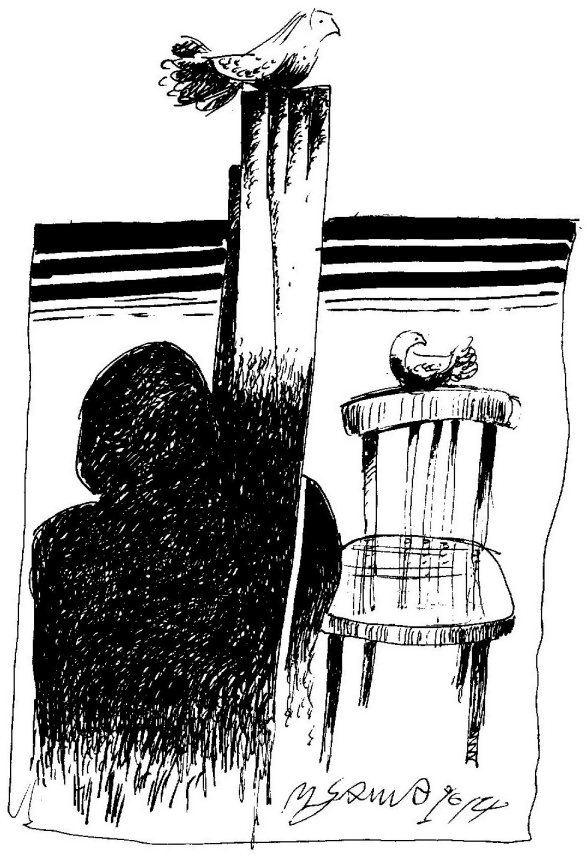

التي نقابل بها_ أن نفكّر في محاكمة جندي لم يتسع له الوقت لينشق، أو لم تسعفه شجاعته ليفعل! نحن أيضاً محكومون بظروف المعركة. أثناء القتال لا مجال للتفكير والعقل، هناك وقائع تفرض علينا التصرف السريع، لا أدّعي أنّه التصرف السليم والصحيح، لكن هذا ما تفرزه المعركة.

قلت: هذا لضعف القيادة أو انعدامها لو أنكم منضوون تحت قيادة واحدة لما حدث ذلك، لأنّ من مهام القيادة أن توفر محاكمات عادلة للأسرى خاصة هؤلاء الذين يستسلمون، ويلقون سلاحهم، ويؤكدون أنّهم لم يقتلوا أحداً بل أطلقوا في الهواء!

قال شاب كان يجلس في الخلف:

ـ يا خالتي نحن سألنا مشايخ، وهم الذين أفتوا لنا بما نقوم به.

قلت: لا إفتاء في مثل هذه الحالات، استفتِ قلبك وعقلك، ولا رأي للمشايخ.. أصلا المشايخ هم أصل البلاء ابتداء بالبوطي وانتهاء بحسون الملعون..

ضحك الشباب، وقالوا:

«له يا خالتي هذا يعني أنّك ضدّ رجال الدين؟»

قلت: لست ضدهم في التشريع الخاص بأمور الدين، لكن ليتركوا السياسة لأهلها، وليبتعدوا عن عقول الثوار لأنّهم يساعدون في تدميرها وتدمير البلد.

قال شاب يجلس وراء «أبو وحيد» بما يجعلني أراه بوضوح إن التفت خلفي: طيب يا خالتي ما رأيك بالمخبرين؟

قلت بسرعة: هؤلاء يستحقون القتل من دون محاكمة.

ضحكوا جميعاً، وقالوا بنفس واحد: ها أنت تفتين.

قلت لهم مازحة: فتوى المرأة تختلف، لو أنّ النساء هنّ من يدرن الأزمة في سوريا لما سالت نقطة دم.

غلبني أحد الشباب بقوله: في هذه جانبك الصواب يا خالتي، لأنّ من يدير الأزمة في سوريا أم الديكتاتور وزوجته وعشيقاته أم أنّك نسيتِ؟ هو في الكواليس وبثينة شعبان تتصدر الشاشات.. وبعدها فضيحة البنات اللي حواليه..

توصلت مع الشباب لاتفاق في النهاية أنّ الطيار والفسفوس ورامي القذائف وقائد الكتائب قتلهم واجب من دون محاكمة، واقتنعوا معي بعدم قتل الجنود.. لكنّهم لم يعدوني بأن يملكوا أنفسهم ساعة المعركة، فلكلّ معركة ظروفها!

السبت/ ٧ /تشرين الأول /٢٠١٢

غريب الدار

يا ليل الظلم متى غده؟!

إبراهيم العلوش

متى سترتوون من دمنا، متى ستشبع غرائزكم المراهقة من العبث بنا، متى ستنتهي أكداس التاريخ المتعفنة، التي تملأ رؤوسكم وضمائركم الميتة، متى سينتهي هذا الليل الطويل من البؤس، ومن التشرد؟

هذه البلاد تمور بنا، وتهتز بعنف، مثل مريض داهمته نوبة ألم مفاجئ، لم تعد الأرض تستقر تحت أقدامنا، والسماء لم تعد قادرة على الهدوء، ولا على المطر، ولا على التزين بالنجوم وبالكواكب، صارت مثلنا أسيرة للطائرات التي تداهم بيوتنا، وتروعنا، وتدمر أسباب الحياة حولنا، لقد أرسلها طاغية يتشبه بعظمة الله وقدرته وجبروته، من أجل أن يبيدنا ويأتي بخلق غيرنا... فجاءتنا جحافل الجراد أفواجاً لا ينتهي معينها، ولا ينتهي جشعها، ولا ينتهي غرورها ولا شغفها بالتدمير وبالخراب الذي شردنا في بلاد الله، التي كانت واسعة وضاقت بوجوهنا المعذبة..

هل نقف في مفارق الطرق، ونستسلم لدموعنا ولحزننا، أم نلقي بأنفسنا، وبأطفالنا طعاما للضواري السارحة في البراري، وعلى الحواجز الوحشية...

ألم تشبعوا من التنكيل بنا، ألم تقتنعوا بأنفسكم، وبقدراتكم، وبأسلحتكم التي تختبئون خلفها، ألن تعودوا بشرا مثلنا، ونتحدث سوية على طاولة مقهى، أو في مكان عابر ونتبادل الملاحظات، والآراء حول موتنا وموتكم، حول معتقلينا ومخطوفينا، ومعتقليكم ومخطوفيكم، ألن تعود الحياة إلى غير مجاريها المدماة بيننا؟..

لن ينفعكم غروركم، ولن ينفعكم تشردنا، ولن تؤويكم بيوتنا المهجورة، سوف تصرخ بكم أواخر الليالي وتروع أطفالكم، سوف تقذف بكم من شرفاتها، مطالبة بعودتنا، لن تنفع معها أكاذيبكم، ولا أسلحتكم، ولا ادعاءاتكم بالوكالات الإلهية التي كتبها لكم رجال مهووسون بالتاريخ المنتن، وبالمذابح، وبالدماء وبالأكاذيب التي لن تنطلي علينا ولو إلى حين!!

سنعود إلى بلادنا، وسنعود إلى بيوتنا، والى أسرتنا المحترقة، وستعود أغراض بيوتنا المنهوبة.. ولن تنفعكم ادعاءاتكم الكاذبة... هذا الليل الطويل سينجلي حتماً، وسيأتي مزيناً بالصباح الربيعي المشرق، وستنجلي عن وجوهنا آثاركم، فلا يغرنكم اسوداد الليل، ولا غياب النجوم، فالله خالق السموات والأرض، وخالق زينتها، وخالق أبناء سورية الذين يحبونها.. وطارد أشرارها، وشياطينها المغترين بالظلام الكثيف والبارد الذي سنصبر عليه.. لأننا نحب بلادنا الجميلة!!

حدث في زمن الأسد الأول... (٢)

أنا والأسد في زنزانة واحدة!!؟

نبيل الفواز

لست أدري هل بات الأسد قدري! أم هو قدر هذا الوطن الحزين والمقهور؟ أم اجتمعا معاً ليرسما في الأفق ملامح قاتمة لمستقبل وطن أدخل قسراً في نفق مظلم, لتمتد مسيرة آلامه لنصف قرن من الزمن. أحمد الله أن الأسد لم يكن عنواناً لبرجي الفلكي ساعة الولادة. صدقاً أقول, ما عرفت نفسي إلا مقاوماً لهذا النظام منذ البداية ولازلت, فوزير دفاع النكسة والهزيمة عام ١٩٦٧ بات حاكماً للبلاد. وحين خرجنا من جامعة دمشق صبيحة السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٧٠ كانت شعاراتنا تندد بالانقلاب المشبوه وجنرالاته الخونة, واستمرت مقاومتنا له ساعات طويلة انتهت بتكريس واقع جديد عنوانه (مرحلة آل الأسد) وإلى ما شاء الله. أذكر ليلة اعتقالي في أواخر شهر آذار عام ١٩٨٠, على الطريق الدولي دمشق - حلب, وبالتحديد قرب مدينة النبك, التي اقتدت إليها من قبل مفرزة أمن الدولة, تمهيداً لنقلي إلى مدينة دمشق, كوني كنت مطلوباً من قبل فرع أمن الدولة (الخطيب) سيء الصيت, والذي كان يرأسه المجرم محمد ناصيف, وكان برتبة مقدم آنذاك, وحين أطلق سراحي بعد أكثر من خمسة عشر عاماً أمسى برتبة لواء, وكان فرعه الأمني الأكثر سطوة ودموية في مدينة دمشق, بل يمكن القول إنه كان الحاكم الفعلي لمدينة دمشق وهو يتقلد الآن منصباً سياسياً رفيعاً في قصر المهاجرين الرئاسي وكر الأسد.

لقد تملكني شعور خاص آنذاك بأن مرحلة مقاومة الأسد في الشارع قد انتهت بالنسبة لي, وأن هناك مرحلة جديدة عنوانها (مقاومة الجلاد), هذه المرحلة التي تتطلب الصمود والصبر على الابتلاء, وحماية الآخر الحر كي يستمر في نضاله في الخارج بمواجهة هذا النظام المجرم.

مضى العام الأول على اعتقالي متنقلاً بين فرع الخطيب وفرع الحلبوني ليستقر بنا المطاف في المربع الأمني في فرع التحقيق - قبو السجن الجنوبي. واستمرت عملية التخزين دون محاكمة, أو بوادر لإطلاق السراح. كان المعتقل يغص بالسجناء دوماً على مدار العام، والازدحام كان هائلاً بحيث كان من الصعب توفير مساحة للنوم، وسط شروط قاسية وغير صحية على الإطلاق, وعناية طبية تكاد لا تذكر بالنسبة للموقوفين، وفي غرفة في قبو المعتقل الجنوبي كنا مجموعة من المعتقلين من كافة الأطياف السياسية، إسلامية ويسارية بل وحتى نقابية.

كان عددنا يقارب الـ٢٥ معتقلاً على العموم ضمن مساحة لا تتجاوز الـ٢٠ متراً مربعاً، وملحق بها غرفة أصغر تحتوي على حمام ودورة مياه وفسحة لإعداد الطعام. كان همنا الأساس الحفاظ على النظافة في العنبر وتأمين الغذاء والدواء لمجموعتنا عبر زيارات الأهل أو فاتورة مشتريات السجن من أموالنا الخاصة (وهي طريقة لسرقة مال السجناء بالتلاعب بالأسعار).

كان التقليد المتبع لدى إدارة أمن الدولة هو جلب المعتقلين من الفروع في المحافظات في يوم محدد من الأسبوع وهو يوم الأربعاء, لاستكمال التحقيق معهم, ثم ترحيلهم يوم الاثنين التالي إلى سجن تدمر الرهيب, إلى مصير أسود لا تحمد عواقبه.

كانت عملية إحضار المعتقلين, تتم وسط شروط لا إنسانية، محنيي الظهور في مقاعد الحافلات التي تقلهم لتستمر عملية الجلد والضرب والرفس من قبل الجلادين الذين يرافقونهم طوال مسافة الرحلة، فكانوا يصلون إلينا منهكين وعطشى وجائعين والدماء تغطي أغلبهم. وكان نصيبنا في العنبر من كل قافلة للموقوفين يزيد عن خمسة أشخاص وأغلبهم صغار في السن, ترسلهم إلينا إدارة السجن حيث نقوم برعايتهم وإطعامهم لحين ترحيلهم لاحقاً.

كان التقليد المتبع لدينا وعلى امتداد أعوام هو استقبال الموقوفين الجدد عند باب العنبر وإدخالهم إلى الحمام، حيث يتولى أحد الشباب أمرهم، وهو طالب طب في جامعة دمشق، وكان على أبواب تخرج واعتقل ضمن مجموعتنا وبالإمكان ذكر اسمه فهو يتواجد الآن بعيداً عن سطوة النظام ويقيم في فرنسا منذ ٣٠ عاماً، حيث تابع تحصيله العلمي وهو الدكتور (غزوان عدي)، وأصبح من الأطباء المشهورين هناك في اختصاصه (الغدد الصم).

كان الدكتور غزوان ومنذ وصول المعتقل يقوم بفحص شامل له، ويقرر حالته وعلاجه من الأدوية المتوفرة لدينا. وأكثر ما كنا نخشاه آنذاك مرض الجرب أو الأمراض المعدية، فكنا نؤمن لهم اللباس الجديد مما هو متوفر لدينا من زيارات الأهل وكذلك أدوات الحلاقة ومستلزمات النوم وأغلبهم كانوا شبه عراة ومرضى ومنهكين جسدياً. رغم كل هذه الاجراءات والاحتياطات، تعرضنا أكثر من مرة للإصابة بالجرب بفعل القادمين إلينا، وفي خريف العام ١٩٨١م، انتقلت إلينا عدوى الجرب أنا ومجموعة من الشباب، وكان عددنا خمسة فقررت إدارة السجن عزلنا حيث نقلنا إلى مكان في القبو واسمه (عنبر المزدوجات)، ويتكون من أربع غرف صغيرة زائد حمام ومطبخ ودورة مياه، وكان مخصصاً لتوقيف المعتقلين الأكثر أهمية أو لاعتبارات أمنية، بل وحتى لتنفيذ العقوبات بحق عناصر أمن الدولة المعاقبين لأسباب وظيفية.

قام كل منا بنقل متاعه الخاص على وجه السرعة الى «عنبر المزدوجات»، حيث أودعنا في الغرفة الثالثة وبدأنا على الفور بإجراءات المعالجة والنظافة للتخلص من هذا المرض المزعج وآثاره، وكان باب المزدوجة مقفلاً في البداية على مجموعتنا ويفتح ثلاث مرات فقط في اليوم.

ثم انتهى هذا الاجراء بعد عدة أيام ليصار إلى فتح الباب لنا على مدار اليوم.

كانت المفاجأة لنا هي وجود شخص داخل العنبر ذي صولةٍ وجولة، وكنا نسمع صوته يهدر في الممر وتعليماته إلى السجناء الآخرين لا تنتهي. التقينا به في اليوم التالي وجهاً لوجه بعد فترة الغداء، وكنا نحتسي أكواب الشاي الساخن، حيث تم التعارف بيننا كما هي العادة في المعتقلات وقدم لنا نفسه بأنه «أبو فراس» ابن إسماعيل الأسد الشقيق الأكبر لحافظ وجميل ورفعت وأنه تقلد عدة مناصب في دولة عمه، كان آخرها تعيينه ملحقاً في السفارة السورية في بلغاريا (علمنا من بعض المعتقلين في العنبر أنه كان يقوم بعمليات مشبوهة ونشاطه الأكبر كان في السوق السوداء صرافة وتهريب ومواد ممنوعة وغيرها)، وعند عودته إلى سورية في مطلع الثمانينات عمد الى بيع كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر من مستودعات الجيش السوري لتنظيم الطليعة المقاتلة (وهو تنظيم انشق عن جماعة الاخوان المسلمين آنذاك)، والتي كانت تخوض صراعاً دموياً مسلحاً في سورية بمواجهة نظام الأسد المجرم، وحسبما علمت أن عمه رفعت أراد حرقه جراء ما أقدم عليه، ولكن تم الصفح عنه مع توصية خاصة بحرمانه من الزيارة أو إدخال أية مساعدة له من قبل عائلته، وأن يتم التحقيق معه فقط من قبل اللواء المجرم «علي دوبا» مدير المخابرات العسكرية آنذاك، وهذا الأمر كان ينطبق على جميع أفراد عائلة الأسد وأبناء مدينة القرداحة حصراً. كذلك قدمنا أنفسنا إليه بوصفنا معارضين سياسيين لنظام عمه حافظ. لا أخفيكم سراً، بأننا شعرنا كمجموعة بالضيق والامتهان لوجودنا مع مثل هذا الرجل الفاسد، وخاصة سلوكه المشين، وغير الانساني تجاه باقي الموقوفين، لقد كان آمراً ناهياً إضافة إلى كونه عالة على الغير، فنحن كان جوهر موقفنا أن المعتقل إنسان أولاً وأخيراً بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو جرمه وأن السجناء هم في صف واحد بمواجهة الجلاد، وهذا مالم يكن يدركه ابن الاسد اللعين.

كان بقية المعتقلين في المزدوجات ينتمون لمجموعتين، مجموعة دينية، وتضم طياراً مدنياً من حلب وتاجراً دمشقياً، واثنان من الشباب صغار السن من مدينة حمص إضافة إلى شخص فلسطيني كانت تهمته التحضير والإعداد لاغتيال «هنري كسنجر» وزير خارجية أمريكا على طريق مطار دمشق الدولي خلال زياراته المكوكية لدمشق لتأمين وإنجاح اتفاقية وقف إطلاق النار بين النظام والعدو الاسرائيلي. كان اسمه «أبو الفدا» وهو شاب فلسطيني في بداية عقده الرابع، وينتمي إلى مجموعة انشقت عن «وديع حداد» أحد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان قد مضى على اعتقاله عدة سنوات، وكان من أكثر الشباب الثوري الفلسطيني نقاءً وصلابة وإنسانية في التعامل مع المعتقلين لقد كان مثار احترام وتقدير.

أما المجموعة الأخرى فكانت مكونة من خمسة شباب عراقيين هربوا إلى سورية أثناء أدائهم الخدمة العسكرية في الجيش العراقي في فترة الحرب العراقية الإيرانية فاقتيدوا إلى المعتقلات هكذا هي (إغاثة الملهوف) لدى آل الأسد. كانوا بؤساء ومتعبين وبسطاء وأذلاء وتعرضوا حسبما قالوا لنا للمزيد من الإهانات من قبل أجهزة الأمن السورية حيثما حلوا في سورية في حين كانوا يعتقدون أنهم سيكونون موضع ترحيب من قبل نظام الأسد المعادي للنظام العراقي آنذاك. ثمة أمر أقلقنا نحن كمجموعة وهي طريقة تعامل أبو فراس معهم، فهم يعدون له الطعام ويغسلون ثيابه بل ويقوم أحدهم بإجراء مساج له يومياً بعد الرياضة الصباحية، كانوا خدماً له بامتياز يذلهم يومياً وهم ساكتون لا حول لهم ولا قوة، فهذا الرجل التافه ينتمي إلى عائلة الضباع حكام سورية، كانت القطيعة بيننا وبينه تزداد يومياً، لحين حضور أحد الشباب ذات يوم قادماً من غرفة الحمام منفعلاً، وأخبرنا أنه شاهد» أبو فراس» يزاول رياضة الملاكمة هناك مستعيناً بمعتقل عراقي حوله إلى كيس رملي يتلقى الضربات.

كان الوقت صباحاً على ما أذكر حين تداولنا في الأمر بيننا كمجموعة واستقر قرارنا على التصدي لهذا المجرم السادي «أبو فراس» وإيقافه عند حده مهما كلف الأمر فنحن وإن كنا معتقلين فإننا ما نزال نمثل حالة رفض للأسد ونظامه في الخارج، فهل يعقل أن نسكت ونغض الطرف عن ممارسات لا إنسانية مجرمة لأزلامه، ونحن في المعتقل بعد معاناتنا من بطشه وظلمه؟. كلفت أنا وأحد الشباب من المجموعة بالذهاب إليه وتحذيره والطلب إليه أن يكف عن معاملة أي معتقل بطريقة لا إنسانية وإلا فسيكون الصدام بيننا (في هذه المناسبة، اعتذر للقارئ عن ذكر أسماء المجموعة لأنهم موجودون في مناطق النظام). وبالفعل ذهبنا على الفور إلى غرفته، وتمت المكاشفة بيننا وأبلغناه بحزم أننا نرفض وبقوة سلوكه الهمجي وطريقته في التعامل مع المعتقلين. استمع إلينا صاغراً معتذراً وتعهد لنا بالعدول عن ذلك السلوك وبالفعل بدأ سلوكه ينحو منحى مغايراً للسابق. وشكرنا الإخوة العراقيين على موقفنا وكانوا سعداء بهذا التغيير في التعامل معهم, حتى جاء القدر وتم ترحيله إلى إدارة المخابرات العسكرية بعد عدة أيام حسبما علمنا من عناصر السجن الذين أبدوا ارتياحاً لرحيله حتى أن أحدهم وهو ضابط صف علوي من آل معلا كان الأكثر سعادة لرحيله, ولم نسمع عنه شيئاً بعد ذلك لعنه الله حياً أو ميتاً.

دائماً في حياتنا هنالك تضاد, بين الخير والشر, بين الصالح والطالح بين المستبد والمظلوم بين الأسود والأبيض وفي أغلب الأسر, في عالمنا, هنالك أم حنون وأب قاس, ولد شرير وآخر طيب, ابنة فاضلة وأخرى ماجنة, هذا التضاد قائم ولا يزال باستثناء عائلة الأسد في الحالة السورية فمنذ مجيء هذه العائلة الوباء والبلاء ما عرفنا منها إلا السوء, عائلة سماتها وسيرورتها القتل والمجازر والخيانة والنهب واللصوصية والفتنة, وقس على ذلك.

من مورثات نقلت إلى الأسرة الفاسدة بدءاً «بالعميل الخائن عميد العائلة سليمان الأسد وصولاً إلى الأولاد فالأحفاد، سلسلة طويلة لأفراد عائلة دخلت التاريخ, بل مزبلة التاريخ من أوسع الأبواب, بل وتصدرته، ولم يقتصر الأمر على هذه العائلة فحسب, بل وتعدتها هذه المورثات الفاسدة إلى الأنسباء كآل مخلوف والأخرس، والأقرباء كآل شاليش ونجيب وغيرهم. فقد امتدت اليهم جينات الملعون سليمان الأسد فسحقاً لهم.

في حياتي كلها ما عرف الكره إلى قلبي سبيلاً لأن الحقد أو الكره موجه سيء في الحياة وفي السياسة إلا في حالة آل الأسد فلقد بات الحقد مشروعاً.

لقد صبر الشعب السوري طويلاً حتى جاءت ثورة الكرامة لتعيد لهذا الشعب دوره ومكانته بين الشعوب فهم أبناء الشام النشامى الأقرب إلى الله, رجال الأرض وسقفهم السماء.

السوريون يساعدون في بناء منطقة (GAP غاب) التركية

نتيجة القصف الوحشي لطيران النظام السوري، ولأعمال الفوضى والتطرف المتولدة عن غياب الدولة، لجأ مئات آلاف السوريين إلى تركيا، ومثلهم إلى البلدان العربية الأخرى.. مثل لبنان والأردن والعراق ومختلف البلدان العربية والعالمية..

وفي منطقة جنوب شرق تركيا المسماة منطقة (GAP غاب) سكن اللاجئون في المخيمات وفي القرى وفي المدن وخاصة في مدينة أورفا وضواحيها..

وعلى اعتبار مدينة أورفا، كانت صاحبة تاريخ عريق في التنوع العرقي والديني، فها هي ستصبح مدينة متعددة الثقافات، ومتعددة الأذواق، ومتعددة أساليب الحياة الأخرى.. من لباس وطعام وطرق العيش الأخرى نتيجة تدفق السوريين إليها..

هاهم السوريون، ومن مختلف المنابت، ومن مختلف المدن السورية ينتشرون في المشاغل والمطاعم والورشات الأورفلية، فقائمة الأطعمة صارت أكثر تنوعا في المطاعم، والصناعات الغذائية تعددت فنونها، ودخلت أذواق السوريين، وأمزجتهم، في شراكة مع المزاج الأورفلي العريق، وشاركت النساء السوريات في رفد المحلات والمطاعم بالأطعمة المصنوعة في البيوت، كالمربيات والجبن والحلويات و حتى أنواع الخبز التي استحسنها الأتراك، ودخلوا في شراكات تجارية مع الصنّاع السوريين لإنتاج المزيد من أنواع الخبز السوري ذي السماكة الرقيقة، والقليل الحريرات الغذائية!

وفي الورشات تجد الحجّار الحلبي وقد أضفى ذوقا عريقا على المباني والمساجد الجديدة، وهو يتواجد شيئا فشيئا في مختلف الورشات، التي تمتلئ بها المدن والقرى التركية!

وكذلك في أعمال البلاط والسيراميك، ومختلف أنواع الديكورات الداخلية، التي يعمل فيها السوريون، والتي صارت أكثر انتشاراً، وبأذواق تتغير وتتشارك بالأجمل، وبالأفضل، لترضي أذواق المستهلكين المتغيرة، مع موجة التنوع الحيوي التي تتكفل الأيدي العاملة السورية بالمشاركة به!

لكن العامل السوري، والفني السوري، كثيراً ما يجد نفسه خارج قائمة الاعتبار، وخارج الحماية، ناهيك عن كونه خارج قائمة التشجيع، مما يجعل هذه الروح الجديدة أقل انتشاراً، وتتراجع الثقافة الجديدة لصالح الثبات، وعدم التطور، الذي يعتاد عليه الحرفي المتكلسة مواهبه، والذي يحارب الجديد بكل ما أوتي من عزيمة ومن أسلحة مختلفة..

ندعو الأخوة التجار وأصحاب المصانع الأتراك، وندعو المسؤولين الأتراك في مختلف الجهات الرسمية، وخاصة في أورفا، إلى دعم الأيدي الفنية السورية الجديدة، وحمايتها بقوانين لا تقبل ظلمهم، ولا استغلالهم، الذي يصل إلى حد تجاهل إنسانيتهم من قبل البعض، وإلى استغلال حاجتهم بشكل غير عادل، مما يمنع الاستفادة من إبداعاتهم المشهود لها، حتى من قبل أصحاب الأعمال الأتراك أنفسهم!!

فهل سنشهد تطورا جديدا، وتشاركا ثقافيا وبشريا، بين سكان المنطقة وبين العاملين والفنيين السوريين، لتغيير وجه منطقة (GAP الغاب) التي يعوزها الكثير للّحاق بركب التطور في المدن التركية الأخرى، التي تنعم بالازدهار وبالتنوع الخلاق!!

لا أعرف هل ينبغي وضع أدبيات للحروب

أيوب أضلال

نعم هناك أدبيات للحرب فرع tyb في مدينة اسطنبول ولعدة أيام تم تنظيم لقاءات واجتماعات لكبار الكتاب والأكاديميين وهم يضعون من خلفهم الشعارات و الاعلانات وكذلك الداعمين للمؤتمر يشرحون أدبيات الحرب بعيداً عن الحرب وهم يعملون (للموت أدباً).

في الآن ذاته نجد أن كتاب المنطقة الشرقية (التنظيم الوحيد) فرع أورفا لم يبادر إلى وضع أدبيات للحرب وعلى العكس من ذلك فقد قام الفرع ذاته بتقديم مساعدات للأدباء السوريين ممن تواجدوا في مدينة أورفا وقد تم تقديم كل المساعدات في إطار الإخوة الإسلامية والمحبة الإنسانية ففتحنا أذرعنا لمجموعة من الكتاب فكان أغلبهم من الرقة وحلب من أشهر الأكاديميين السوريين وقد بلغ عددهم عشرين كاتباً.

وعلى الرغم من أننا لسنا جمعية خيرية فقد بادرنا ودون استعداد كافٍ ولا نملك أي مقدرات خاصة إلا أننا وكون الكتاب السوريين الفرع (tyb) طلبنا منهم وضع لائحة بكل طلباتهم العامة بما يسهل لهم ظروف عملهم.

وقد التقينا في مقرنا في الرضوانية ليلة يوم الجمعة حيث التقينا كادر جريدة الحرمل التي تصدر في تركيا وكان معهم العدد الأول من جريدتهم التي تصدر في أورفا. ومن المشاكل التي عرضت علينا من قبلهم أنهم جميعاً يطالبون بتعلم اللغة التركية، وذلك دفعنا إلى مشاركتهم في جريدة الحرمل بصفحة خاصة باللغة التركية مما استدعى دعوة السيد (يوسف ضياء جليك) لكادر الجريدة إلى مكتبه حيث أكد ضرورة مساعدتهم ودعمهم في أي عمل مشترك بين الكتاب السوريين والأتراك في ذلك الوقت كنا قد بدأنا بالدرس الأول منم اللغة التركية معهم من خلال كادر مختص.

حيث تم تجهيز اتفاق (بروتوكول) بين مدير منطقة الخليلية وجامعة اسطنبول قسم اللغات للعمل المشترك حيث قدم للإخوة الكتاب السوريين نسخة من كتاب تعلم التركية وفي نهاية الدورة سيصار إلى منح الإخوة السوريين شهادات إتمام (دورة اللغة التركية) ونحن نعلم جيداً أن الكتاب السوريين ليسوا بحاجة إلى المعرفة والثقافة بل كل ما يحتاجونه تعلم لغتنا التركية.

في هذا المقام نشكر الدكتور المساعد مدير مركز اللغات السيد محمد بالجن يلماز على المساعدة الكريمة.

في الأسبوع الأول انسجم الكتاب السوريون ضمن الدورة، ونتيجة ارتياحهم لما قدمنا فقد خصصوا لنا صفحتين من جريدة الحرمل، وفي نفس الوقت نشروا ترجمة لفعالياتنا وبالأخص ما تم ترجمته إلى اللغة العربية ونشر في جريدة (مليات)، وكان المقال بعنوان (مروان وأطفال الحرب) وفي الاسبوع الثاني من الدورة صدر العدد الثاني من مجلة الحرمل حيث كتب فيها أحد محرريها أنه قد راجع إدارة جامعة (حران) بخصوص تعلم اللغة التركية فبادرت إدارة الجامعة على تحديد مبلغ /٩٠٠/ يورو غافلين عن طلب المبلغ بالليرة التركية مما أثار حنقه.

أما نحن فقد بادرنا إلى تمكينهم من إجراء الدورة ثمناً لذلك (الدعاء لله فقط).

أما خلال الأسبوع الثاني فقد دعانا مدير منطقة الخليلية السيد (يوسف ضياء جلبك كايا) لمأدبة عشاء وحضر مأدبة العشاء السيد (عز الدين كجك) والي أورفا واستمع إلى الكتاب السوريين وشكرنا على مساهمتنا في مساعدتهم وعلى إجراء دورة اللغة التركية وبادر مشكوراً إلى استئجار مقر للجريدة وطباعتها لمدة سنة كاملة، مظهراً روح الإخوة بيننا نحن الكتاب العرب السوريين والأتراك وخلال لقاءات التعارف بيننا وبين الكتاب، فقد أكد السيد والي أورفا للسيد بسام البليبل رئيس مجلس إدارة الحرمل وعضو نقابة المحامين بالرقة بطباعة كتاب أشعار للأطفال على نفقة الولاية وتوزيعه في مخيمات اللجوء السورية.

ووعد أيضاً بالقيام بإيجاد مخيم خاص بالعازبين من اللاجئين السوريين.

لقد أسعدنا ما تم تقديمه من مساعدة لإخواننا الأدباء السوريين ونظرنا إلى الله سبحانه وتعالى أن ينهي الحرب القذرة في بلادهم وكلنا أمل أن تنتهي ويعودون إلى بلادهم متمنين أن يسندوا ظهورهم على جدار في وطنهم.

SURİYELİ YAZARLAR

Eyyup Azlal

Savaşın edebiyatı yapılmalı mıdır, bilmiyorum. TYB İstanbul şubesi kaç gündür savaşın edebiyatı üzerine Konferanslar, paneller düzenliyor. Koca koca yazarlar, akademisyenler arkalarında logolar, sponsorlar eşliğinde dinleyicilere savaşın edebiyatını anlatıyorlar. Savaştan uzak bir cenahta olununca edebiyatı da yapılıyormuş.

Oysa Türkiye Yazarlar Birliğinin "Şark Cephesindeki" tek birliği olan Urfa Şubesi olarak Savaş edebiyatı yapmıyor bilakis Suriye'de yaşanan kirli savaşın neticesinde ülkemize sığınan Suriyeli yazarlara yardımda bulunuyoruz. Bu yardımı da İslam'ın uhuvvet yani kardeşlik hukuku çerçevesinde yürütüyoruz. Çoğu Rakka ve bazıları da Halep'ten olmak üzere yaklaşık ٢٠ yazar, akademisyene kucak açmış durumdayız.

Bu dostlarımızla ilgili önce ne yapabiliriz diye düşündük. Öncelikle bir yardım cemiyeti olmamamıza rağmen kendi imkânlarımızla ve insanî değerler ölçüsünde birçok yardım faaliyetine giriştik. Bu yardım faaliyetleri sonucu olarak tanıştığımız Suriyeli yazarları TYB Urfa şubesine davet ettik. Davet ederken de bizden hangi taleplerde bulunacaksanız öncelik sırasına koyarak taleplerinizi iletiniz dediydik.

Bir Cuma akşamı Rızvaniye Medresesindeki yerimizde onlarla ilk toplantımızı yaptık. Suriyeli Yazarların Ülkemizde çıkardığı Al-Harmal gazetesinin ilk sayısını da getirmişlerdi. Toplantı, daha doğrusu muhabbetimiz sonucunda bu yazarlara ilk etapta Türkçeyi öğretecektik. Çünkü uyum sorunu en çok dil problemiyle oluşuyordu. Daha sonra onların çıkardığı gazete olan Al-Harmal'ın bir sayfasını biz üstlenecektik.

O akşam "şaire çıktıysa adım, bu şehri terk ederim" diyen Haliliye kaymakamı Yusuf Ziya Çelikkaya beyi de Yazarlar Birliğine davet etmiştik. Kıymetli dostumuz Yusuf Ziya bey, Suriyeli Yazarlar ve Türkiye Yazarlar Birliğinin ortaklaşa yapacağı her türlü etkinliği himaye edeceğini söylemesi üzerine biz de ertesi gün ilk dersimize başlamıştık. Birlik olarak aldığımız bir karara atfen Haliliye Kaymakamlığı ve İstanbul Üniversitesi Dil Merkezi ile işbirliği protokolü hazırladık. Bunun neticesinde İ.Ü. Dil merkezinden Yabancılar için Türkçe kitabı ve diğer materyalleri Haliliye Kaymakamlığı tarafından satın alınarak kursiyerlerimize teslim edildi. İ.Ü Dil Merkezinin müfredatı doğrultusunda verdiğimiz Türkçe kursu bitiminde Dil Merkezi, bir sınav yapacak ve sınav sonucunda başarılı kursiyerlere birer sertifika verecek. Tabi Suriyeli yazarların belgeye değil bilgiye, Türkçeyi öğrenecek kadar bilgiye ihtiyaçları vardı. Bu ilgisinden ve alakasından dolayı İ.Ü. Dil merkezi başkanı Yrd. Doç. Dr. Mehmet Yalçın Yılmaz hocamıza da teşekkür etmeliyiz.

Suriyeli yazarlarımız da ilk hafta da kursumuza intibak sağladılar. Ayrıca Al-Harmal gazetesinin bir sayfasını bizim için ayırdılar. Aynı zamanda Milat gazetesindeki yazılarımızdan "Mervan ve Onlar Savaşın Çocukları" adlı yazıyı Arapçaya çevirerek Al-Harmal gazetesinde yayınladılar. Özellikle kursun ikinci haftasına girerken Al-Harmal'da "Suriyeli yazarlar Türkçe öğreniyorlar" yazısında bir anekdot ilgimi çekmişti. Bizden sitayişle bahseden Suriyeli yazarlar, daha önce bölge üniversitelerinden birine gidip Türkçe öğrenmek istediklerini söylemişler. Üniversite yönetimi de Türkçe öğrenmeleri için kendilerinden ٩٠٠ Euroluk para talep etmişler. Türk Lirası da değil! Biz ise onlardan para değil dua talep ettik.

Kursumuzun ikinci haftasında Haliliye Kaymakamı Yusuf Ziya Çelikkaya bey bizleri nezih bir mekanda akşam yemeğinde ağırladı. Yemeğe Şanlıurfa Valimiz İzettin Küçük beyin de geleceğini söylediydi. Vali İzettin Küçük Bey de yemek sonunda Suriyeli Yazarları dinledi. Türkçe kursundan dolayı bize teşekkür etti. Ayrıca İlin en büyük mülki amiri olarak Suriyeli Yazarların çıkardığı Al-Harmal gazetesinin bir yıllık finansmanını üstleneceğini söyledi. Bununla da yetinmedi Suriyeli Yazarların Urfa'daki merkezinin bir yıllık kirasını karşılayacağını söyledi.

Daha Suriyeli Yazarların talepleri yokken kıymetli valimiz bu kadirşinaslığını gösterdi. Daha sonra Suriyeli yazarların tanışma faslında çocuk edebiyatı alanında kitaplar yazan ve aynı zamanda Rakka Baro başkan yardımcısı Bessam Beyin kitaplarını basıp Suriyelilerin kaldığı kamplarda dağıtacaklarını söyledi. Yine kamplarda kalan bekârların yerlerinin kalmadığını öğrenen valimiz İzzettin Küçük Bey, bu yerlerle de ilgileneceğini söyledi. Bu kadar yıkım, göz yaşı içerisinde bu Suriyeli yazarların mutluluğunu görünce biz de mutlu olduk ve memleketlerinde devam eden kirli savaşın bir an önce bitmesi için Allah'ımıza dua ettik.

Bütün bunlarla Suriyeli yazarlar savaşın bir an önce bitmesi ve memleketlerinde sırtlarını dayayacakları bir duvarın varlığını özlüyorlar.

اقبض يديك

محمد أويماك

اقبض يديك

لكي لا تُسقط السلام
حتى يصل صوتك لسبع سموات
حتى يصل نسيم نفسك إلى سبعة أطباق تحت الأرض
لكي تكون عبرةً وآيةً في سبع قارات
اغمض عينيك
بنية دعائك
حتى يدخل السرور إلى داخلك
للسماح للبذور مرة أخرى
حتى تكون فصولك الأربعة ربيعاً
اصمت
لكي يصمت كل المكان
لكي يُسمع صوت قلبك
لكي يتعلم الأطفال الهدوء والسلام
لكي تمتلئ قلوبهم بالحب
اقبض أصابعك
ليكتب القلم
لكي يقف العالم لأجل السلام
لكي يجد القلم معناه
لكي يكون من أجل الإنسانية
اقبض يدك للشر
لكي يصل السلام للبشرية
لكي تخمد العدوانية
لكي يكون عبداً للإنسانية

HUZURA VARIŞ

MEHMET OYMAK

Yum avuçlarını
Huzur düşmesin
Yedi kat göğe ulaşsın sesin
Yedi kat yere saba nefesin
Yedi kıt›aya meltem olsun
Yum gözlerini
Dua niyetine
Huzur sinsin içine
Tohuma dursun yine
Dört mevsim bahar olsun
um ağzını
Her yer sussun
Yüreğinin sesi duyulsun
Çocuklar huzura uyusun
Sevgiyle dolsun gönüller
Yum parmaklarını
Yazsın kalem
Selama dursun alem
Anlamını bulsun «Kelam»
İnsanlığa deva olsun
Yum yumruğunu
Şerre
Barış gelsin beşere
Düşmanlık gömülsün yere

İnsanlığa bayram olsun.

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين
رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس
هيئة التحرير: أسعد فخري – خلف الجربوع – إبراهيم العلوش – عروة المهاوش- محمد صليبي – إياس المحمد.
عبدالرحمن الهويدي – مصطفى سليمان.
ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI:3 YIL: 2014 (1) - İMTİYAZ SAHİBİ : ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33

للتواصل عبر فيس بوك Facebook.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر تويتر Twitter.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر البريد الإلكتروني Alharmal.journal@gmail.com
MOB: 00905459679973 Atatürk Mah7-.sk. NO = 9. ŞanliUrfa

الممثلة العالمية أنجلينا جولي تتبنى طفلاً سورياً

قامت الممثلة العالمية «أنجلينا جولي»، بتبني طفل سوري اسمه «موسى» كانت قد تعرفت عليه خلال إحدى زياراتها إلى مخيم للاجئين السوريين في تركيا. وكان «موسى» يعيش في مخيم «التنوز» للاجئين في هاتاي التركية حيث توفي والده خلال الثورة السورية منذ نحو أربع سنوات.

وأفاد مسؤول الإغاثة في المخيم التركي، أن سفيرة النوايا الحسنة في الأمم المتحدة «جولي» تعرفت على هذا الطفل من المترجمة الخاصة بها، وعندما رآها موسى لأول مرة كان يبتسم بسعادة كبيرة، ولكنها لم تستطع أن تسيطر على دموعها، وقبل أن تصل إليه تقدم إليها وعانقها، وهي كانت حنونة وعاطفية معه للغاية، الأمر الذي أضحك الجميع رغم تأثرهم».

يُذكر أن «موسى» سينضم لأبناء «جولي» و«براد بيت» الستة وهم مادوكس ١٣ عاماً، باكس ١١، وزهرة التي تبنتها من «إثيوبيا» ٩ سنوات، وشيلوه ٨ سنوات والتوأم فيفان ونوكس البالغان من العمر ٥ سنوات.

وتأتي هذه البادرة الطيبة من الفنانة جولي في ظل غياب الدعم العربي والدولي عن اللاجئين السوريين، وإصدار عدد من الدول العربية قوانين ومراسيم تمنع السوريين من الدخول إلى أراضيهم.

معركة جناق قلعة غيرت مسار التاريخ

Çanakkale savaşı tarihin akışını değiştirdi

أردوغان: من لم يعِ نصر جناق قلعة لا يمكنه فهم تركيا

Cumhurbaşkanı Erdoğan: Çanakkale›yi anlamayan Türkiye›yi asla anlayamaz

قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان: «إن انتصارات جناق قلعة، ليست نصراً لقوم، أو إثنية بعينها، وإنما نصر لكل تركيا، وجميع الشعوب الشقيقة والصديقة.»

جاء ذلك خلال الكلمة التي ألقاها في الاحتفال الجماهيري في الذكرى الثامنة والتسعين لمعركة جناق قلعة البحرية، التي دحر فيها الجيش العثماني قوات الحلفاء عن الأراضي التركية في عام ١٩١٥ إبان الحرب العالمية الأولى.

وأضاف أردوغان: «إن الذي لم يعِ هذا النصر بعمق، لا يمكن أن يدرك معاني البذل والعطاء الذي يمثله، ولا التضامن والإخوة التي أبرزها بين أبناء الشعب، وبالتالي سيصعب عليه فهم هذا الوطن، وشعبه والإخوة التي تجمع أبناءه.»

وأوضح أن شهداء معركة جناق قلعة يمثلون هوية الشعب التركي، وهذا النصر سطر ملحمة غيرت مسار التاريخ، وصاغ تعريفاً لمفهوم الشعب والأمة لدينا.

ودعا أردوغان إلى استخلاص الدروس، والعبر من المناسبة العظيمة، لتعزيز الإخوة بين أبناء الشعب والانطلاق نحو المستقبل كشعب واحد، يجمعه وطن واحد، ودولة واحدة، تحت راية واحدة.

ويصطف على ثرى جناق قلعة.. الألوف من شواهد القبور التي تضم جثامين الجنود الذين قضوا في المعركة، ونقرأ على شواهد القبور أسماء جنود قدموا من أستراليا ونيوزيلندا ليحاربوا في ركاب بريطانيا التي خاضت تلك الحرب متحالفة مع فرنسا وروسيا، فيما نقرأ على القبور في الجهة المقابلة أسماء شهداء أتراك وعرب جاء أصحابها من حلب ودمشق وبغداد والقدس والرقة لمحاربة الغزاة القادمين من وراء البحار.

تعتبر تركيا يوم التاسع من آب من كل عام يوماً وطنياً، فيما تعتبر دول الحلفاء يوم الخامس والعشرين من نيسان يوماً للذكرى، وقد أقام كل منها نُصُباً تذكارية لجنودها يزورها ممثلوها بانتظام، ففي عام ٢٠٠٥ عندما حلّت الذكرى التسعون للمعركة، اجتمعت في شبه جزيرة غاليبولي وفود ترأسها رئيس الوزراء الأسترالي ونظيرته النيوزيلندية والأمير تشارلز ولي العهد البريطاني، وحضر المناسبة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان.

يذكر أن مساهمة الجنود العرب في تلك المعركة الطاحنة بقيت طي النسيان، وغاب ذكر الضباط العرب الذين خدموا في «جناق قلعة» وغيرها من مواقع المعارك في الحرب العالمية الأولى عن التاريخ العسكري.

وتظهر في الصورة المأخوذة في مقابر شهداء جناق قلعة صور لقبور شهداء استشهدوا في المعركة من حلب وحماة والرقة والقدس وغزة..

هنيئا للشعب التركي بكل مكوناته انتصاره التاريخي الكبير في هذه الملحمة البطولية.

زاوية حرة

الخروج من الوضع الراهن؟!

بسام البليل

لقد استمدت المعارضة – ولا سيما معارضة الخارج – شرعيتها من امتطائها ما صدحت به حناجر الثوار، وضجت به لهواتهم من شعارات. وعلى مدى أربع سنوات ظل مقياس ولاء المعارضة مرتبطاً بمدى الانحياز والتمسك بالعبارات العاطفية التي ملأت جدران سورية، وارتفعت في لافتات المظاهرات الحاشدة.

وظلَّ مقياس الثورية منحصراً في مقولة أنّ الثوري من يقول لا، وظل الأوصياء الرسوليون على الثورة يرفضون أن يتشارك معهم الآخرون هذه الشرعية لمجرد أنهم يختلفون معهم في الرأي في كيفية الوصول إلى أهداف الثورة، رغم الاتفاق على الأهداف النهائية.

الأمر الذي حول الهوية الثورية إلى «سرير بروكست» الذي يشترط أن يكون مقياس كل من يزعم أنه مع الثورة على مقاس هذا السرير، حتى لو اقتضى الأمر بتر أطرافه، أو مط جسده، وهذا ما انعكس عجزاً في اتخاذ قرارات جريئة وحاسمة في تحديد مسار الثورة، والانتقال بها من الرؤية العاطفية إلى الرؤية العقلية، ومن الارتجال إلى التخطيط، ومن المسايرة إلى المبادرة، ومن الانقياد إلى القيادة الحقيقية والفاعلة.

كما ساهم هذا الأمر في إصابة الثورة بكل أدوائها الحالية، من شرذمة، وترهل، وتعارض، وتراخٍ، وانفضاض في الدعم العربي والدولي، وفقدان الثقة الشعبية بالمتصدرين لقيادة المعارضة، ونفور جماهيري منها، فشلت المعارضة في تبديده، وإعادة اجتذاب الجماهير إليها مرةً أخرى.

إنّ فشل المعارضة الخارجية المتمثلة بالائتلاف – رغم تعاقب قيادات مختلفة على رئاسته – ناجمٌ عن تغيير في الشكل دون المضمون، وتغيير في الأشخاص دون تغيير في النهج، والارتهان لنمطية الواقع دون التفكير بالتحرر من هذه السلطة، وتكوين رؤية جديدة مختلفة في إطار نسق من القيم الإيجابية والثورية التي يتفق عليها الجميع.

لقد حدثت تحولات كبيرة منذ انطلاق الثورة السورية التي بدأت سلمية، وانتهت حرباً متعددة الدوافع والأشكال، مثلما حدثت تحولات في السياسة الإقليمية والدولية، وتدخل قوى خارجية ساهم في إطالة عمر النظام، وانعكس قتلاً، واختفاءً قسرياً، واعتقالاً، وتهجيراً، وتدميراً ليس له مثيل في العصر الحديث، الأمر الذي يقتضي من قيادات المعارضة التفكير الجاد والجريء باستراتيجيات جديدة تأخذ بعين الاعتبار قبل أي اعتبار آخر صيانة حق الحياة للمواطن السوري لأنّ مناط الإنسانية ألا يتم التضحية بإنسان من أجل أية غاية، ولأنّ النصر الأكبر للثورة أن تكون مادة للحياة، وليست سبيلاً إلى الموت.

وإذا لم ترع الثورة، وقياداتها المختلفة، واقع الشعب الذي قامت من أجله، بعد أربع سنوات مريرة أتت على البشر والحجر، وانطلاقاً من أنّ الثورة هي الخروج من الوضع الراهن وتغييره، فإننا قد نحتاج إلى ثورة على الثورة.

الحرمل
مجلة الحرمل تدعو المؤسسات والأفراد إلى دعم استمراريتها وإستقلالها، من خلال الاشتراك والإعلان فيها، وذلك بالإتصال على هاتف المجلة رقم: (٠٥٤٥٩٦٧٩٩٧٣) أو مراجعة مقرها الكائن خلف بلدية أورفا
الآراء التي تنشر بالمجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المجلة
السنة الأولى / العدد الثامن / 15 كانون الثاني 2015